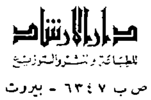
مواطن الشعوب الإسلامية



محمود شاكر



ص ب ٦٣٤٧ - بيروت

الطبعة الأولى
١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م



مقدمة :

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين وإمام المجاهدين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين وبعد :

كنت قــــد نشرت بعض مقالات عن تركستان[1] في مجلة حضارة الإسلام ، وشاء الله — سبحانه وتعالى — أن لا يستمر تتابعهـــا فتوقفت ، وما أن حجبت حتى تلقيت العديد من الرسائل تطالبني كلها بمتابعة الكتابة وتلح عليّ ، ولما لم أقوَ إلا

---

(١) تركستان : منطقة واسعة تشمل الجزء الأعظم من آسيا الوسطى . أهمل سكانهـــا عقيدتهم فتوزعوا أيدي سبأ ، وقسمت أرضهم إلى قسمين : شرقي يقع ضمن حدود الصين وتحت سيطرتها ويعرف باسم تركستان الصينية ، وغربي ويخضع للاستعمار الروسي ويعرف باسم تركستان الروسية ، وكل قسمٍ وزع بدوره إلى أقسام وأجزاء .

على الامتثال وهم لا يعلمون –وفقهم الله– أن التأخر ليس من جهتي ، لذا عمدت إلى جمع ما نشر وإتمام البحث عن القسم الأول ، وكان مما كتب إليَّ يبين أن الناس قد أصبحوا في بعد تام عن هـــذه المواضيع وجهل حتى كاد يأتي عليها النسيان .

احتلت روسيا هذه المناطق وابتلعتها منذ أكثر من قرن ، وأصبحت من ضمن أراضيها ، وصارت دراستها بقعة من أرض واسعة فلا يتعرض لها إلا بقليل من العناية ، بعد أن كانت تدرس لوحدها ، فتوسع أجزاؤها ، وتمحص مناطقها .

تغيرت أسماء المناطق وتبدلت أسماء المدن ، فلم يعد يذكر لتلك المراكز التي حملت شعلة الحضارة فترة من الزمن ، واقترنت بها ، فزالت معالمها ، وامحت حضارتها ، ودرست آثارها وأهملت جغرافيتها ، ولم يعد منها في الذاكرة إلا معلومات بسيطة من خلال مقتطفات من الأدب أو شذرات من التاريخ أو من أسماء علمائهـا الذين لمعوا فأضاءوا الكتب بعلمهم وأناروا الطريق لمن بعدهم .

اعتبرت روسيا تاريخ المنطقة قد ابتدأ منذ دخولها إليها ، فأهمل الماضي وحيل بينه وبين الشعب ، واعتبر مذلة وجاهلية .

تقوقعنا في مناطقنـا متخذين الجنس أساساً لكل اعتبار ، فتركنا دراسة تلك الأمصار التي ارتبط تاريخها بتاريخنا حقبة من الزمن ليست قصيرة ، فضاعت معالمها عنا ، وإن بقيت في

الذكريات عند القليل النادر من العلماء فنقف عليها كالأطلال .

فقدنا كل مساعدة من هذه الأمصار لبعدنا عن العقيدة وجهلنا لهم وجهلهم لنا ، وهذا ما دفعني للكتابة عن هذه المناطق رغم صعوبتها لقلة المعلومات وتضارب الإحصائيات وعدم الثقة بصحتها ، وأعترف من الآن أنني لم أستطع أن أؤدي الموضوع حقه ، ولم أقم بالواجب الذي يترتب عليّ ولعلّ لي بعض العذر بسبب الصعوبات التي ألمحت عنها .

لم أحاول أن أتوسع في البحث توسع العالم الجغرافي ولا الباحث الاجتماعي ولا المؤرخ والناقد ، وإنما أحاول أن أعطي المعلومات التي يحتاج إليها القراء الذين يريدون أن يطلعوا على المنطقة ويتعرفوا على أوضاع إخوانهم المسلمين في بقاع الأرض ، والله من وراء القصد .

ربيع الأول ١٣٨٦هـ
حزيران ١٩٦٦م

محمود شاكر

تركستان

في أواسط آسيا ، وبين المرتفعات [١] ، تمتد حوضة كبيرة كانت تملؤها المياه ، ردمتها الرواسب والجروفات ، حملتها إليها الأنهار المنحدرة من الجبال العالية المحيطة بها التي تتلقى الأمطار لارتفاعها ، فتتشكل منها تلك المجاري المائية . أمـــا وسط الحوضة فمنخفض وبعيد عن أثر البحر ، مما جعل الأمطار قليلة [٢] ، وكان صيف المنطقة حاراً لاهباً ، استطاعت هـــذه الحرارة اللافحة ، أن تبخر كميات كبيرة من المياه المتجمعة في الحوضة ، كما أن الشتاء جاف بارد ، فلا تجلب الرياح الغربية إلا كميـــات ضئيلة جداً من المطر ، تهطل على جنوب الحوضة ، هذا المناخ أتى

---

(١) المرتفعات المحيطة بالحوضة هي ضهرة كازاكستان وجبـــال اورال من الشمال ، والجبال العالية التي تؤلف الحدود مع إيران وافغانستان والصين والتي تشكل أيضاً قيرغيزيا وفرغانـة ، وأهم هذه الجبـال هضبة بامير ، وهندكوش وتيان شان وآلتاي وآلاي .

(٢) تتلقى المنطقة أمطاراً أقل من ٢٠٠ مم ، والمناطق التي تقل أمطارهـا عن هذه الكمية تعتبر صحراوية ، والأمطار صيفية في الشمال وشتوية في الجزء الجنوبي .

على معظم مياه البحيرة ، ولم يبق إلا آثار منها ، أهمهـــا بحر قزوين [1] ، وبحر آرال [2] ، وبعض المياه المتجمعة على شكل بحيرات صغيرة أو مستنقعات قليلة ، تنتهي فيها بعض المجاري المائية التي لا تستطيع تجاوزها لقلة وشح مياهها، وشدةالتبخر، ولولا المياه الغزيرة [3] التي تصل إلى المساحات المائية الواسعة ، لزالت معالمها ، وامحت آثارها .

في هذه المناطق الصحراوية عاشت قبائل ، فرضت عليهـا الطبيعة الارتحال ، وأجبرها الكلأ على الانتقـــال ، يعود معظمهـــا إلى أصل تركي ، هذا الأصل أعطى المنطقة اسم تركستان [4] .

دانت هـــذه القبائل بالوثنية ، حتى سطع عليها النور من الجزيرة العربية ، فلفها بين أشعته ، وطواها بين جوانحـــه ،

---

(١) أطلق عليه أيضاً بحر جرجان ، بحر طبرستان وبحر الخزر ، وسطح مياهه في الشمال يبلغ : ٢٦ م .

(٢) وأطلق عليه أيضاً اسم بحيرة خوارزم .

(٣) أهم المياه التي ترفد بحر قزوين هو نهر الفولغا أطول أنهار أوربا ، وأهم المياه التي تصل إلى بحر آرال نهرا سيحون وجيحون .

(٤) يقصد بـ (تركستان)بلاد الترك ومثلها افغانستانوهندستانوكردستان أي بلاد الافغان وبلاد الهند وبلاد الكرد .

فاعتنقت جميعاً الإسلام ، وإذا بالعلماء الافذاذ [1] يخرجون منها فيخدمون الدين بعلمهم ونتاجهم ، بل خدموا العالم ، فالإسلام دين البشرية جمعاء .

---

(١) من العلماء الذين نشأوا من هذه المنطقة :

١ ـ الإمام البخاري المتوفى عام ٢٥٦ هـ و.و إمام الحديث .

٢ ـ الإمام مسلم المتوفى عام ٢٦١ هـ من أئمة علم الحديث .

٣ ـ الترمذي المتوفى عام ٢٧٩ هـ من أئمة الحديث .

٤ ـ النسائي المتوفى عام ٣٠٣ هـ من أئمة الحديث .

٥ ـ الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ وهو صاحب التفسير والتاريخ المعروفين.

٦ ـ الخوارزمي المتوفى عام ٤٢٨ هـ وهو ابن أخت الطبري وكان يحاضر في أخبار العرب وأيامها وروايتها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، وشعره لا يقل عن نثره .

٧ ـ ابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ الطبيب والأديب والفيلسوف المعروف .

٨ ـ الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ الإمام أبو حامد الغزالي حجة الاسلام وصاحب كتاب إحياء علوم الدين .

٩ ـ الزمخشري المتوفي عام ٥٣٨ هـ وهو من أئمة التفسير .

١٠ ـ البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ وهو من أئمة الحديث ،

إضافة إلى علماء كثيرين لا يعدون ، وواضح أن هؤلاء من أئمة العلم الكبار .

بعد معركة نهاوند [١] الحاسمة بين المسلمين والساسانيين ،أمر الخليفة عمر بن الخطاب [٢] – حسب نصيحة الأحنف بن قيس [٣] – الجيوش الإسلامية بالانسياح في بلاد فارس ،وأرسل قادة سبعاً ، وجه كلا منهم لجهة ، وكان الأحنف بن قيس هو قائد الجبهة الشرقية .

وكان يزدجرد قد سار إلى خراسان [٤] ، وأقام بمرو [٥] ، فسار الأحنف نحو مدينة هراة [٦] ففتحها ، ثم سار نحو مرو

---

(١) نهاوند بلدة تقع إلى الجنوب الغربي من طهران اليوم على بعد ٤٠٠كم وجنوب مدينة همدان ، وكان المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن ثم حذيفة بن اليمان .

(٢) عمر بن الخطاب الخليفة الثاني كانت خلافته (١٣ - ٢٤ هـ) (٦٣٤ - ٦٤٤ م) .

(٣) الأحنف بن قيس : واسمه الضحاك وقيل صخر ، أسلم أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ٦٧ هـ .

(٤) خراسان : هو الاقليم الشرقي من بلاد فارس ، وكان يطلق على منطقة حاضرتها مدينة مرو ومن مدنها هراة ونيسابور وبلخ وسرخس وطالقان ، وتقع هذه المنطقة اليوم في ثلاث دول هي إيران وافغانستان والاتحاد السوفييتي .

(٥) مدينة مرو تقع اليوم في تركستان في ظل الاستعمار الروسي .

(٦) هراة : مدينة تقع اليوم شمال غربي افغانستان .

فافتتحها ، وفر يزدجرد إلى بلخ [١] ، واستنجد بملك الصين وقبائل الصغد [٢] والترك ، وجاءته الجموع الكثيرة ، وظن بالنصر عندما رأى ذلك ، وحلم باستعادة مدينة مرو ، ولكن ظنه خاب ، وهزم هزيمة منكرة ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وانهزموا مدبرين . كانت القوتان غير متكافئتين ، جموع محتشدة لا تحصى ، وأعداد منتشرة ، تملأ السهول والآكام ، تنظر إلى أعدادها ، فتغرها كثرتها ، ويغلب عليها الظن أنها لا تقهر ، عدتها الحشود ، ونصيرها مضاء السلاح ، تجمعها روابط الدنيا ، ويشجعها الطمع في الأسلاب والنهب وحب سفك الدماء ، ويجانب هذه القوة حفنة من الرجال ، تضيع بين أعدائها ، ولكن سلاحها الإيمان ، ورابطها الدين ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها . وما هي إلا جولة خاطفة حتى تفرقت الجماهير الغفيرة ، ولاذت بالفرار ، وانهزم الكفر ، وعلت راية الإيمان ، وانتهى الأمر بوصول المسلمين إلى نهر جيحون (اموداريا) . وخلصت خراسان للفاتحين الجدد .

وحاول بعض الأمراء من خراسان السيطرة على المنطقة في

---

(١) بلخ : مدينة تقع شمال افغانستان جنوب نهر جيحون وهي عاصمة اقليم باكتريا .

(٢) الصغد : بلاد تمتد على مسيرة خمسة أيام وفيها قرى كثيرة بين سمرقند وبخارى وبها فيها نهر يعرف بنهر الصغد .

عهد الخليفة عثمان بن عفان [1] ، فغزاها عبدالله بن عامر [2] في عام (٣١هـ ٦٥١ م) ، فصالحه أهلها ، فوجه الأحنف بن قيس ففتح طخارستان [3] .

وبعد مضي خمس سنوات بدأت الفتنة في أرض الإسلام ، أشعل نارها أحد اليهود وهو عبدالله بن سبأ [4]،فعادت الفوضى إلى أرض خراسان ، واستطاع معاوية [5] أن يعيد فتحها من جديد ، فاستقر فيها الإسلام نهائياً ، ولم يعد للكفر أية جولة . ولم يتجاوز المسلمون نهر جيحون مطلقاً إلا في غزوات على شكل غارات، حيث أرسل معاوية عبيدالله بن زياد إلى وخراسان عبر

---

(١) عثمان بن عفان : الخليفة الثالث وكانت خلافته (٢٤ - ٣٦ هـ ٦٤٤ - ٦٥٦ م) .

(٢) عبدالله بن عامر : وهو أمير البصرة الذي خلف أبا موسى الأشعري ، وكانت مغازي البصرة فارس وخراسان بينما كانت مغازي الكوفة الري وأذربيجان .

(٣) طخارستان : ولاية كبيرة في أعالي جيحون .

(٤) عبدالله بن سبأ : وهو أحد اليهود الذين أظهروا الاسلام ، وأبطنوا الكفر ، وهذه الطريقة يتبعها اليهود إلى الآن ، ويهود الدونمة في تركيا ودورهم في إسقاط الخلافة والدعوة للقومية الطورانية معروف .

(٥) معاوية بن أبي سفيان : مؤسس الدولة الأموية وقد كانت خلافته (٤١ - ٦١ هـ - ٦٦١ / ٦٨٠ م) .

نهر جيحون وجاء بخارى ، ففتح بيكند [1] وحاصر بخارى عام (٥٤هـ - ٦٧٣ م) وصالحه أهلها وكانت ملكتهم امرأة تسمى الخاتون تحكمهم نيابة عن ابنها طغشادة ، ثم عزل عبيدالله بن زياد ، وتولى أمر خراسان سعيد بن عثمان بن عفان ، فأغار على بخارى فانتصر عليهم ، وكان أهل الصغد معهم ، وجدد الصلح بين الطرفين ، كما أغار على سمرقند . ويقال أن قثم بن العباس بن عبد المطلب قد استشهد في سمرقند ، وهو ابن عم النبي ﷺ ، وله فيها ضريح ويعرف هناك باسم « مزار شاه زنده » أي السلطان الحي ، كما يقول بعضهم إنه قد استشهد في مدينة مرو.

تولى أمر خراسان مسلم بن زياد بن أبيه فألف جيشاً ، واتجه نحو بخارى فصالحه أهلها ، ولكنهم لم يلبثوا أن نكسوا ، فأرسل إليهم المهلب بن أبي صفرة ، فانتصر عليهم . وقد عرفت البلاد التي وراء نهر جيحون باسم بلاد ما وراء النهر .

وقد توقفت الفتوحات بعد معاوية فترة ولم تتقدم شيئاً ، حيث شغل المسلمون بأوضاعهم الداخلية الناشئة عن الخلافة ، تلك الحوادث المعروفة في التاريخ والتي سببت انقسام المسلمين وانشغالهم عن الفتوحات ، وهذا طبيعي فكل انقسام يحدث في الداخل ، وكل فتنة تحدث ، وكل تشجيع لصف دون الآخر ،

---

(١) بيكند : مدينة بين بخارى وجيحون على بعد ٤٤ كم من بخارى.

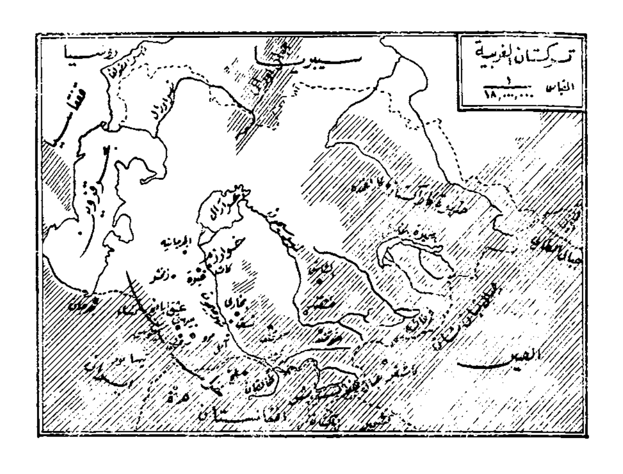
ومعاداة لقسم دون الثاني ، إنما هو تأخير في التقدم الخارجي ؛ ووقوف في وجه النشاط الإسلامي. وما انقسام العرب والمسلمين اليوم بخافٍ على ذي عقل ، ومن المسؤول عن هـــذا الانقسام والتفرق والاختلاف والتمزق. وفي كل فترة نجد أنصاراً للأعداء يعملون على محاربة الحركة الإسلامية ، ومضايقة قادتهـا حباً في السيطرة والشهرة ، وسيراً في ركب أعداء الإسلام ومداهنتهم أمثال هيلاسيلاسي عدو الإسلام ، وهذا ما دعا اليوم إلى الوقوف في وجه انتشار الإسلام وخاصة في افريقية ، وبالوقت نفسه ساعد على نشاط التبشير والاستعمار في قلب تلك القارة التي هي المجال الوحيد للصراع بين الإسلام والمسيحية ، بـــين الإسلام وأعدائه على اختلاف أنواعهم ، كما أنها المجال للصراع بين الأفكار والمعسكرات وأخيراً الصراع بيننا وبين إسرائيل .

وفي أيام عبدالملك بن مروان [١] ولي أمر المشرق الحجاج بن يوسف الثقفي ، فولى على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، فأغار عبد الرحمن بن محمد على كابـل [٢] ، ثم ولى يزيد بن المهلب ، ثم أخاه الفضل ، وأخيراً عزله الحجاج ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٨هـ - ٧٠٦ م) فعبر جيحون ، وحاصر مدينـــة

---

(١) عبد الملك بن مروان : الخليفة الأموي الخامس وكانت خلافته (٦٦ - ٨٧ هـ - ٦٨٥ - ٧٠٥ م) .

(٢) كابل ، عاصمة بلاد الافغان اليوم .



بيكند ، وقد لقي عنتاً شديداً في الاستيلاء عليها لأنهـا كانت على غاية من التحصين ، ثم فتح مدينة بخارى ، ثم مدن خوارزم ، ثم فتح سمرقند [1] عاصمة الصغد ، وبنى فيها مسجداً ، ثم عاد إلى مرو ، وفي العام التالي غزا بلاد الشاش (طاشقند) وفرغانة ،

---

(١) سمرقند : تقع على بعد ٧ كم جنوب نهر زرافشان ، حاصرها سعيد بن عثمان والي خراسان سنة ٥٥هـ ، ثم فتحها قتيبة ، احتلها الروس سنة ١٨٦٨م وجعلوها عاصمة زرافشان ، والآن تتبع جمهورية اوزبكستان.

ثم اتجه نحو الشرق وفتح مدينة كاشغر وكان ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك [1] .

وكان أهل بخارى يسلمون ثم يرتدون حين يعود المسلمون ، وكان قتيبة قد حملهم على الإسلام ثلاث مرات،ثم عادوا فارتدوا وكفروا ، وقد حارب قتيبة في المرة الرابعة ، واستولى على المدينة ، وأظهر الإسلام بعد عناء كبير ، وغرسه في قلوبهم ، علمهم بكل الطرق،فكانوا يقبلون على الإسلام في الظاهر ،ويعبدون الأصنام في السر ، فأمر قتيبة أهل بخارى أن يعطوا نصف بيوتهم للعرب المسلمين ، ليقيموا معهم ، ويطلعوا على أحوالهم، وبهذا انتشر الاسلام ، وبنيت المساجد،وأزيلت آثار المجوسية .

وكان قتيبة يأمر المسلمين أن يخرجوا معهم أسلحتهم أثناء ذهابهم لصلاة العيد حيث كانوا لا يزالون يخشون بأس المجوسية، وأصبحت بعد ذلك سنّة إلى اليوم ، يخرج كل صاحب سلاحٍ سلاحه أثناء ذهابه لصلاة العيد .

وقد بني أول مسجد في بخارى عام (٩٤هـ — ٧١٤م) وقد جدد هـذا المسجد ومنارته عام (٥١٥ هـ — ١١٢١ م) بأمر أرسلان خان . ويعتبر هذا المسجد ومنارته من أهم آثار بخارى .

---

(١) الوليد بن عبد الملك ، الخليفة الأموى السادس وكانت خلافته (٨٧ — ٩٧ هـ — ٧٠٥ — ٧١٥م) .

الإسلامية ، وقد حول هذا المسجد بعـــد الثورة الشيوعية إلى متحف ومكتبة ، ووضعت أمامه التماثيـل ، وسميت المكتبة باسم « مكتبة ابن سينا » .

وقد أسلم ملك بخارى طغشاده بن الخاتون على يد قتيبة وبقي ملكاً عليهـــا ، وأنجب ولداً أسماه قتيبة حباً بالفاتح ، ولكن هذا الولد قد ارتد أيام أبي مسلم الخراساني الذي قتله ، كذلك اتبع بعض أبنـــاء طغشاده دعوة المقنع [١] الذي ثار أيام المهدي .

عندما فتح المسلمون مدينة بخارى،أقيم بجانب أمير بخارى عامل عربي تابع لأمير خراسان الذي كان يقيم في مدينة مرو . وقد سميت مدينة بخارى باسم قبـــة الإسلام بسبب الإمام البخاري .

وفي عهد سليمان بن عبد الملك [٢] عاد لولاية المشرق يزيد بن المهلب ثم عزل بعد وفاة سليمان ، وأخذ الولاية مسلمة بن عبد الملك فـــترة ، ثم ولي عمر بن هبيرة ، وفي أيام هشام بن عبد الملك [٣] عزل عمر بن هبيرة ، وولي مكانـــه خالد بن عبدالله

---

(١) المقنع : واسمه هاشم بن حكيم .
(٢) سليمان بن عبد الملك : الخليفة الأموي السابع وكانت خلافته (٩٧ - ٩٩ هـ - ٧١٥ - ٧١٧ م) .
(٣) هشام بن عبد الملك : الخليفة الأموي العاشر وكانت خلافته (١٠٦ - ١٢٦ هـ - ٧٢٤ - ٧٤٣ م) .

القسري ، وفي هذه الأثناء دخل أهل سمرقند وكافة بلاد مـا وراء النهر في الإسلام ورفعت عنهم الجزية [1] ، وكان داعية الإسلام صالح بن طريف ، ويكنى بأبي الصيداء ، ولم تكن بقعة من أرض الإسلام لتخلو — والحمد لله — من داعية من الدعاة في أي فترة من فترات التاريخ مهما كانت المنطقـــة على ضعف من العلماء والصلة ببقية أجزاء العالم الإسلامي .

ثم ولي أمر خراسان يوسف بن عمر الثقفي ، ثم نصر بن سيار ، وكان العرب قد فتحوا تلك الأرجاء ، واستقروا فيها ، وكانت اليمانية أكثر الفئات سكناً لتلك البقعة . وبعد هـــذا الاستقرار ، استرخت النفوس ، ومالت إلى الدعة والخلود ، ثم بدأ التنازع ، وظهر بين القبائـل ، وثارت العصبية ، وانقسم العرب إلى يمانية ومضرية ، وساد العـداء بينهما ، واشتعلت نار الحرب عندما لم يجدوا من يحاربونه ، ونسوا الأمر الذي ذهبوا من أجله وهو نشر الدين والدعوة إلى الله والجهـاد في سبيله .

---

(١) الجزية : مبلغ من المال يفرض على أهل الكتاب الذين هم في حماية المسلمين ومقابل ذلك يعفون من الجهاد ودفع الأعداء ، ويردها إليهم المسلمون إذا لم يستطيعوا حمايتهم ، ولكن بعض خلفاء بني أمية غلب عليهم الجشع ، فكانوا يبقون الجزية على الذين يسلمون في سبيل إبقـاء بيت المال على حالة كبيرة من الغنى حتى كان أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فرفع الجزية عمن أسلم . وكتب إليه بعض عماله أن هذا التصرف قد أفقر بيت المال وجعل كثيراً من الناس يسلمون هرباً من الجزية فرد عليه الجواب الخالد : « إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً » .



قبر قثم بن العباس في مدينة بخارى كما يزعمون

وكان نصر بن سيار زعيم المضرية هو والي المنطقـــة رغم قلة المضرية ، وكان أسد بن عبدالله القسري هو زعيم اليمانية .

هذه العصبية أثارت عصبيات أخرى ، فالمناداة بالعربيـــة أثار الفارسية ، وقامت الدعوة إليهـــا ، بينما كان الدين يجمع بينهما ، فتفرقت الأمة ، وتقطعت أوصالها ، وما استحكمت العصبية في أمة إلا فرقتها فرقاً، ومزقتها مزقاً، وجزأتها قطعاً، وما تفرقت أمة إلا ذلت ، وما أصاب الذل أمة إلا سطا عليها

أكثر أهل الأرض شراً ، وأقلهم قدراً ، وأحطهم أمراً ، وما أصابنا ما أصابنا إلا بعد أن تقوقعنا على أنفسنا في المنـــاطق الناطقة بالضاد ، وفرقنا أصحاب الأطماع، وشلتنا أهل الهوى، وتركنا الدعوة للفكرة ، وقمنا على أساس العصبية ، وهذا ما دعا الآخرين لرد الفعل ، فنادى الكرد لقوميتهم ، وسطا علينا أحط أهل الأرض (اليهود) .

واستفاد أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس من هذه التفرقة فضم إلى جموعه :

١ ـ اليمانية المعارضة للمضرية وزعيمهـــا نصر بن سيار ، ويطمعون في الولاية والنفوذ لكثرتهم ، وينقمون على ولاية الأقلية .

٢ ـ الناقمين على الأمويين لدعوتهم العصبية ، وإهمال الدعوة الدينية .

٣ ـ الداعين إلى العصبية الفارسية كرد فعل على الدعوة الأموية .

٤ ـ الناقمين على الحكم الأموي المستأثر بالحكم ، والمعـادي لآل البيت .

إضافة إلى الآراء الشخصية والأطماع الفردية. وأحس نصر بن

سيار بهذه التفرقة وشعر بخطر العصبية ، ولكن بعد أن فات الأوان ، فالنار قد اشتعلت ولا يمكن إخمادها بشكل سهل ، وخاصة أنه هو من دعاتها [1]، وبدلاً من أن يخمدها بنبذ العصبية والدعوة إلى الرابطة الدينية ، استنجد بعصبيته ، وأهمل باقي الفئات فكتب إلى مروان بن محمد [2] آخر خلفاء بني أمية يقول :

أرى تحت الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النـار بالعيدان تذكي وإن الحرب مبدؤها الكلام

أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيـام ؟

فإن كانوا لحينهمُ نيامـاً فقل : قوموا فقد حان القيام

وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق من قبل بني أمية يستنجد به :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه

وقد تحققت أن لا خير في الكذب

---

(١) كان يتعصب للمضرية .

(٢) مروان بن محمد :حفيد عبد الملك بن مروان ، كانت حاضرته في حران من بلاد الجزيرة ، انتقل الحكم إليها حيث استحكمت الخلافات بين أفراد البيت الأموي في دمشق وكانت خلافته (١٢٧ - ١٣٢ ﻫ - ٧٤٤ - ٧٥٠ م) .

بأن أرض خراسان رأيت بهـــا
بيضاً إذا أفرخت حدثت بالعجب

فراخ عامين إلا أنها كبرت
ولم يطرن ، وقد سربلن بالزغب

فإن يطرن ولم يحتل لهن بهـــا
يلهبن نيران حرب أيمـــا لهب

وأعـاد نصر الصيحة تلو الأخرى ، ثم التفت إلى حاضرته مرو ، يريد جمع العصبية العربية ، وينهي أمر الخلاف بين اليمانية والمضرية فقال :

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتهم
فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب

ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
حرباً ، يحرق في حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكمُ
كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب

ولكن لم تجد هذه الصيحات في وقت تشتتت فيه الأفكار وتفرقت الأهواء واستحكمت العصبية ، ورسول الله ﷺ يقول « دعوها فإنها نتنة » . والتفرق تكون نتيجته على الأجيـــال

القادمة أكثر مما تكون على الأجيال الحاضرة ، ودعاة العصبية تصيبهم لعنة التاريخ أكثر مما يصيبهم حقد المعاصرين .

واستطاع أبو مسلم الخراساني الانتصار على أعـدائه الذين تفرقوا . وأخيراً التقى جيش العباسيين القادم من المشرق بقيادة عبدالله بن علي [1] بجيش الأمويين بقيادة مروان بن محمد على نهر الزاب أحد روافد دجلة ، وكان الجيش الأموي مفرقـاً مختلفاً لا يدافع عن فكرة ، ولا يعمل لدعوة ، الفكرة التي حملها أجدادهم الذين انطلقوا في الفتوحات ، والعقيدة التي يؤمن بها أن الرجل المقاتل في سبيل الله ينال إحدى الحسنيين : إمـا الشهادة في سبيل الله وإما النصر .

ولننظر إلى الجيش الأموي على نهـر الزاب وعلى مقدمته مروان بن محمد وهو يقول لقضاعة : انزلوا ، فتقول قضاعة : قل لبني سُلَيم فلينزلوا، ويرسل إلى السكاسك أن احملوا، فيقولون له : قل لبني عامر فليحملوا ، ويرسل إلى السكون أن احملوا ، فيقولون له : قل لغطفان فليحملوا ، ويقول لصاحب شرطـه انزل فقال : لا ، والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . وكيف ينتصر هذا الجيش ، ويقاتل الجندي، ويعتقد أنه يقاتل عصبية،

---

(١) عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وهو عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .

ويدافع عن راية لا يؤمن بها ، ويناضل من أجل قادة طوعاً أو كرهاً ، إن انتصر لم ينل شيئاً ، وإن مات لم يحرز أجراً [1] ، هذا الأمر جدير بالاهتمام من كل حاكم أو قائد أو مسؤول ، ونحن اليوم على أبواب معركة عاجلاً أو آجلاً مع اليهود المغتصبين .

دالت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس .

كانت الدولة تقسم إلى أقاليم ومن هذه الاقاليم ، إقليم المشرق وهو ذو جناحين ، أحدهما في الشرق وهو ما كان شرق نهر جيحون أو أموداريا ويسمى ببلاد ما وراء النهر أو هيطل ، والثاني وهو ما كان غرب نهر جيحون ويعرف باسم خراسان .

١ – **بلاد ما وراء النهر** : ويتبع هذا الجزء بأكمله الآن إلى روسيا ، وقد قال عنه البشاري : « هـذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى ، وأكثرها خيراً ، وفقهاً ، وعمارة ، ورغبـة في العلم ، واستقامة في الدين ، وأشد بأساً ، وأغلظ رقاباً ، وأسلم صدراً ، وأرغب في الجماعات مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم » وفي هذا القسم ست كور .

---

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله أيهم في سبيل الله الرجل يقاتل شجاعة ً أم حمية ً أم رياءً » قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »، وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له » .



من آثار بخارى الاسلامية

١ – فرغانة [١] : وقصبتها اخسكيت .

٢ – اسبيجاب : ومركزها اسبيجاب .

٣ – الشاش[٢] : وقصبتها نبكث (طاشقند) .

٤ – اشروسنة : وقصبتها بنجكث .

٥ – الصغد : وقصبتها سمرقند .

٦ – بخارى : وقصبتها بخارى .

ويمر نهر جيحون من هذا الاقليم، ويتشعب منه أنهار كثيرة، وعليه كور عديدة، ومن أهمها خوارزم [٣]، وهي على حافتي النهر، وقصبتها العظمى شرق النهر، وهي مدينة كاث، ولها قصبة أخرى غربية، وهي الجرجانية، وتقع على النهر ترمذ وآمل .

٢ – خراسان : وهو الآن يتبع إيران وافغانستان كما يخضع جزء منه لروسيا، وفي هذا الجزء تقع مدينة مرو قصبة الاقليم

---

(١) فرغانة : ولاية كبيرة في تركستان، كانت عاصمتها مدينة خوقند، وهي الآن أهم مقاطعة في جمهورية أوزبكستان .

(٢) الشاش : وهي في الأغلب اسم مدينة طاشقند، وتقع على نهر جرجق وهو رافد من روافد نهر سيحون، وطاشقند اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان .

(٣) خوارزم : هي خيوه .

المشهورة ، كما تقع فيه أيضاً آمل وسرخس وبيهق .

زالت دولة بني أمية ، وقامت دولة بني العباس ، دالت عصبية ، وحلت مكانها عصبية أخرى ، وابتدأ سفك الدماء ، وكثر القتل ، فالحرب بين العصبيات شديدة ليس لها حد تقف عنده ، ولا يعرف لها مثيل إلا الحروب بين الطبقات . هذان النوعان من الحروب أشد أنواع الخلاف، وأقسى أنواع الحروب، لا تعرف المجازر عداءً أبشع منهما ، ولم يسدر التاريخ خصاماً أقسى من ذلك ، فالحرب دائمة مستمرة لا تهدأ أبداً . ويقول أحد دعاة الحرب بين الطبقات [1] « الحكومة عبارة عن ماكنة ساحقة ، تسحق طبقة بطبقة، وقد استعملت الطبقة البورجوازية هذه الماكنة لسحق طبقة البروليتاريا ، والآن يجب على طبقة البروليتاريا أن تستعمل هذه الماكنة لسحق الطبقة البورجوازية »، وكل منا يعرف الملايين من الأرواح التي أزهقت في روسيا نتيجة الحقد بين الطبقات ، وحمامات الدم التي رافقت كل حركة تقوم بها طبقة على الأخرى، وليست مجاري الدماء في الموصل وعمليات السحل ببعيدة ، ولم تتوصل تلك الفئة الحاقدة للحكم ، ولم تستلم شيئاً من الأمر .

وكذا العداء بين العصبيات ، فالتاريخ يذكر أن الأعمال

---

(١) لينين .

الوحشية التي قام بهـــا العباسيون ضد أخصامهم من بني أمية عندما انتهت دولتهم ، فقد ظهر بعض الأمويين من اختفـائهم بعد أن استقر الأمر للعباسيين ، ودخلوا على الولاة والخلفاء ، ولكن حزازات القلوب لم تزل ، وفي النفس نيـــة لإعدامهم وإعادة القتل .

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات القلوب كما هيا

ويقال إن أحد الشعراء قد دخل على السفاح فوجد عنده سليمان بن هشام بن عبدالملك فأنشده :

لا يغرنّك ما ترى من رجالٍ   إن تحت الضلوع داءً دويّا
فارفع السيف وضع السوط حتى   لا ترى على ظهرهـا أمويّا

فأمر الخليفة بقتل سليمان مباشرة فقتل . ويروي التاريخ أن عبد الله بن علي قائد العباسيين وعم الخليفة السفاح قد تتبع من كان بالشام من الأمويين ، فلم ينج منه أحد إلا من كان رضيعاً ، أو من فرّ إلى بلاد الأندلس ، ولم يكفه ذلك ، بل نبش قبور الخلفاء ، فوجد جثة معاوية ويزيد وعبد الملك قد بليت ، أما جثة هشام بن عبد الملك فوجدت كما هي ، لم يبل منها إلا أرنبة أنفه ، فأخذت الجثة ، وصلبت ، ثم أُحرقت ، وذر رمادها . وهذا منتهى الحقد، ومثله جميع الأحقاد التي تقوم بين العصبيات، ومنها ذلك العداء التقليدي الذي أصبح بين العرب والترك عندما

نادى كل بعصبية جنسه . وقد كانوا قبلها أُمةً واحدة .

استلم العباسيون الحكم على أكتاف الفرس ، ولكن الفرس لم يستطيعوا أن يسيروا في عصبيتهم شوطاً بعيداً ، لأن الأمر لم يكن بيدهم تماماً ، فالخلفاء من العرب،والأمر لا يزال فيبدايته، فالقوة واستعمالها أكثر ما تكون في بداية كل ثورة أو تغيير وضع ، والنفوس لا تظهر ما تضمر منذ أول الطريق ، والعقيدة الإسلامية لا تزال راسخة قوية في قلوبٍ كثيرةٍ من أجناس مختلفة ، فتميل إلى الحق ، وتمقت العصبية، وتدعو إلى الفكرة، كما أن الخلفاء كانوا أقوياء في استعمال السلطة حيث ركبوا أوعر الطرق حتى تم لهم الأمر ، فلا يصلح التساهل والتغاضي ،ولكن الأمر لم يدم كثيراً ، ووقت القوة لم يطل ، وكانت العصبية تنتظر الشرارة لتندلع ، فإذا لم تتوفر الشرارة اكتفت بالدخان ليلهبها واعتمدت على عصبية الأم ، فقد كان للرشيد أبناء عدة من زوجات مختلفات في الجنسية ، وقد أوصى لأبنائه من بعده الأمين فالمأمون فالمؤتمن ولم يكونوا من أم واحدة ، فتعصب العرب للأمين وكانت أُمه منهم ، وانحاز الفرس للمأمون فأمه كانت من الفرس ، بل إن العرب اختلفوا فسارت القيسية مع الأمين ، والكلبية مع المأمون ، وكادت الفتنة تندلع ولكنها خمدت بمقتل الأمين ، وبقيت آثارها قائمة ، ونظر كل قائد أو زعيم إلى السيطرة في منطقته معتمداً على عصبيته ، فلم يمض وقت

طويل حتى قامت الدولة الطاهرية [١] في مرو حاضرة خراسان، وقامت أيضاً الدولة السامانية [٢] في بلاد ما وراء النهر، وكانت عاصمتها مدينة بخارى، ومن قبل انخرط عدد كبير في دعوة المقنع [٣] التي انتشرت في جزء من خراسان وبلاد ما وراء النهر. ثم لم تلبث أن تعددت الدول، وكثرت، وانفصلت عن جسم الدولة العباسية، وبدلاً من أن تلتقي بالفكرة الدينية، وتتآخى كما أمر الله، لتقف في وجه العدو الذي لم يلبث أن داهمها حكومة بعد أخرى، وجزءاً بعد جزء حتى قضى عليها نهائياً.

---

(١) مؤسسها طاهر بن الحسين قائد المأمون وذلك عام (٢٠٥هـ - ٨٢٠م) واستمرت هذه الدولة حتى عام (٢٥٩هـ - ٨٧٢م) وقضت عليها الدولة الصفارية.

(٢) مؤسسها أحمد بن أسد بن سامان وذلك عام (٢٦١ هـ - ٨٧٤ م) واستمرت ١٧٠ عاماً، وانتهت على أيدي آل سبكتكين ، وسامان قرية بنواحي سمرقند.

(٣) المقنع هو هاشم بن حكيم، وقد ادعى النبوة، وسمي بالمقنع لأنه كان يغطي وجهه ورأسه، إذ كان في غاية القبح، وكان أصلع ، وإحدى عينيه عوراء، وقد صاحب الدعوة أيام أبي مسلم، وقد سجن بعد ادعائه النبوة مدة سنوات، ثم ذهب إلى مرو، وادعى الألوهية ، وأنه ظهر للبشر على صورة آدم ثم نوح فابراهيم فموسى فعيسى فمحمد، ثم على صورة أبي مسلم وأخيرا بهيئة هاشم بن حكيم. وكانت جماعته تلبس الثياب البيضاء لذلك عرفوا باسم المبيضة، وقد قضى المهدي على ثورته عام (١٦٧هـ - ٧٨٣ م).

هذه الدول بدأت تدعو إلى عصبيات محلية ما أنزل الله بها من سلطان ، وبقيت هذه العصبيات إلى يومنا ، نحملهـا دون تفكير ، وننادي بها دون خبرة ، ويزيد الأجنبي في إشعالها .

هذه العصبيات لم يكن لها أي مبرر ، ولم يكن لهـا أي وجود ، لولا الأطماع الشخصية من الحكام الذين نادوا بها ليسندوا بها حكمهم ، وليختلفوا بهـا عن الآخرين — فإذا لم يختلفوا عن غيرهم فلا داعي لوجودهم —، وأسرع الحكام ليحيوا لغات محلية اندثرت ، ولهجات اقليمية زالت منذ أن جاء الإسلام بلغته العربية . وأغدق هؤلاء الحكام على الشعراء الأموال الكثيرة ، ونال العلماء أعطيات كبيرة لقاء ما كتبوه في لغاتهم الخاصة ، وظهرت مراكز كثيرة للحضارة كلها تضاهي بغداد مركز الخلافة الإسلامية ، فكانت مرو[1] وغزنة[2] وبخارى[3] وسمرقند[4]، وكانت القاهرة[5] وحلب[6] وفاس[7] والقيروان[8] و....

---

(١) مرو : حاضرة خراسان ومركز الدولة الطاهرية .
(٢) غزنة : مدينة تقع جنوب كابل وقد كانت مركز الدولة الغزنوية .
(٣) بخارى : مركز الدولة السامانية .
(٤) سمرقند : عاصمة بلاد الصغد ، وحاضرة تيمورلنك .
(٥) القاهرة : عاصمة الفاطميين وقد أسسها جوهر الصقلي .
(٦) حلب : حاضرة الدولة الحمدانية .
(٧) فاس : مركز الادارسة .
(٨) القيروان: حاضرة الأغالبة ورباط افريقية الأول .

وكل مركز ولاية انفصلت عن جسم الدولة الأصلي ، وإن كانت الحضارة قد انتشرت، إلا أن الضعف السياسي قد ساد،وتجزأت الدولة ، فلا تدل مظاهر الحضارة دائماً عليها ، فقد تكون المظاهر في ناحية دون الأخرى ، وقد يكون جزء من الشعب قد وصل إلى مستوى معين من الحضارة كبير وأعطى المظهر العام للدولة على حين بقي القسم العظيم من الشعب يعيش بمستوى أقل بكثير من الحد الطبيعي ، وقد ينتشر الأدب ، وتتوسع الثقافة مع بقاء الشعب يعيش بمستوى منخفض ، ويقدر عليه رزقه . وهكذا بدأت اللغة العربية تنحسر تدريجياً عن المناطق التي دخلتها مرفوعة الرأس تحت شعار الاسلام ، وخرجت منها مطأطئة ذليلة تحت راية العصبية ، وكما انحسرت قديماً عن المناطق الشرقية ، نراها اليوم تنسحب من افريقية ببطء ، فقد لبثت افريقية قروناً تحت نير الاستعمار ، ولكنها حافظت على لغة دينها الاسلامي متحدية بذلك الغرب ولغته ، وعندما استقلت أرادت أن تتقرب من اخوتها الدول العربية — اخوتها في الفكرة والعقيدة ، ولكنها وجدت نفسها قد نأت عنهم جميعاً حيث ساروا في درب العصبية ، درب الجاهلية ، درب لا يمت إلى الفكرة الاسلامية والعقيدة الدينية بشيء ، درب لم تعهده من قبل .

وانهارت الدولة تلو الأخرى ، لأنه لم يكن لها مقومات الدولة ، فكلها تعتمد على العصبية ، فلا يدوم الأمر لها كثيراً

كثيراً حتى تقوم غيرها،ولا يستقر لها شأن حتى تضمحل وتزول، فقد جاء السامانيون والغزنويون ، وحكمت قبائل تركية مختلفة، ثم جاء السلاجقة ، توالوا على الحكم جميعاً ، فقامت في كل ناحية دويلة ، واستبد في كل جهة ملك ، وحكم في كل مدينة سلطان ، ينافس الآخرين ، يعلو عليهم تارة ، ويخضع لغيره أحياناً .

هذا التفكك الذي أوجدته العصبية لم يعـد بالإمكان التغلب عليــه ، حيث انقلب إلى نزعات محلية وعصبيات موضعية ، وصارت المنطقة هدفاً لغير ساكنيها ، ومطمعاً لغير أهلها ، كما هي حالنا الآن ، فقد أصبحت فلسطين لغير أبنائهــا ، عندما أصبح العرب يعتمدون على العصبية ، وينزوون في المنــاطق الناطقة بالضاد ، وينادون بغير الفكره التي خرجوا من أجلهـا من جزيرتهم ، وستصبح غير فلسطين إن بقي الوضع كما هو ، والحال على ما هي ، حيث تطمع إسرائيل بجزء كبير من سورية ومصر ، وشعارها « من النيل إلى الفرات » .

وكانت أكبر الدول في بلاد ما وراء النهر هي خوارزم وتمتد على مساحات واسعة ، تشمل ضفاف نهر جيحون ، وتمتد حتى بحر قزوين ، ولكن وإن كانت هذه الدولة كبيرة في أرضهـا ، واسعة في رقعتها ، غنية بمواردها ، كثيرة العدد في سكانهـا ، تبدو عليها علائم الرخاء ، ويظهر على أهلهــا طابع النعمة ، وتملك جيشاً أكبر من أي جيش من جيوشنا الآن ويقدر بـ٤٠٠

ألف مقاتل ، إلا أن الروح المعنوية ضعيفة ، والفكرة لا تربط بين ساكنيها ، فليست القوة المادية هي المعول الوحيـــد ، فمهما تسامقت تبقى دون القوة الروحية بل لا تكاد تذكر أمامها .

وكانت أحوال غرب آسيا لا تقل سوءاً عن أحوال شرقها ، فكلاهما كان الوضع فيـــه نتيجة العصبية ، وجاءت الحروب الصليبية إلى غرب آسيا، فلم يكن بالامكان الالتفات نحو المشرق والأخذ بيده ، فكل يعمل على شاكلته ، ويحاول حل مشاكله معتمداً على بني جنسه ، فلم يصل إلى الأمر الذي يبغي ، إلا أنه سار نحو التأخر أشواطاً مسرعة بانتظام ، ولولا أن صلاح الدين اعتمد على العقيدة الاسلامية ، وطرح فكرة العصبية الجنسية بعيداً ، وألقاها ساخراً منها لما أدرك ما أحرزه .

في هـــذا الوقت بالذات كانت قبائل المغول تتجمع حول جنكيزخان [1] الذي أعلن نفسه امبراطوراً عليهـا ، واجتاح الصين ، ثم اتجه غرباً ، فدخل أرض الإسلام ، وغزا خوارزم ، وقتل من جيشها ١٦٠ ألف جندي ، ثم دخل بخارى وأحرقها ، وسلب ، ونهب وسبى منها ما شاء له طغيانه ، ثم استمر في تقدمه نحو الغرب ، فقاومته نيسابور ، فكان جزاء أهلهـــا الذبح

---

(١) جنكيز : كلمة مغولية معناها المحارب الكامل ، وخان كلمة مختصرة من خاقان التي تطلق على الملوك بين قبائل المغول والترك .

والقتل ، وبقي في تقدمه إلى أن وصل إلى غايته المحتومة ، فخلفه ابنه ، فسار على خطة أبيه ، فغزا ما بقي من الصين ، ثم اتجه غرباً ، واكتسح روسيا ، وجعلها ولاية مغولية في عام (٦٣٣هـ / ١٢٣٥ م) وكذا استولى على بولندا والمجر ، ولكن المغول انسحبوا من أوربا عندما حدث بينهم نزاع على العرش ، وأخيراً استولى مانجو على مقدرات المغول عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م ، فولى أخاً له على الصين ، وسيّر أخاه الثاني هولاكو ليغزو غرب آسيا فدخل بغداد وهدمها (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وقضى على الدولة الإسلامية ، ووصل فلسطين ولكنه هزم على أيدي المماليك في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، وبعد هذه الهزيمة توقفت فتوحات المغول ، وتجزأت دولتهم إلى أجزاء ، يحكم كلاً منها خان مستقل ، اعتنق ديانة المنطقة التي يحكمها ، فاعتنق حكام شرق آسيا البوذية ، ودخل خانات غرب آسيا وأواسطها في الإسلام .

وقام تيمور [1] يتزعم التتار الذين ثاروا على حكامهم المغول، وكان أبوه طرغاي شيخاً تقياً ورعاً عرف بالزهد ، واستطاع تيمور أن يغزو خوارزم ، وأن يوسع رقعة دولته ، حتى غدت

---

(١) ولد تيمور سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م في بلدة كش جنوب سمرقند بنحو ٥٠ ميل ، وقد عرف في التاريخ باسم تيمورلنك ويقصد منها تيمور الأعرج .

سمرقند عاصمة التتار تتبعهـــا أقاليم واسعة ، وورث التتار امبراطورية المغول الشاسعة بعـــد حروب طاحنة ومناورات عظيمة ، واحتفظ تيمور لنفسه بلقب أمير ، وأقـام خاناً من المغول من أحفـاد جنكيزخان في سمرقند صورة أثرية ورمزاً لتحالف قديم بين المغول والتتار ، وإن كان الأمر كله مرهون بيد تيمور . ثم فتح فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى ، وأسر الخليفة العثماني بايزيد ، وبالغ في إهانته وإذلاله ، وكذا فتح قسماً من الهند ، وكان يداوم على قراءة القرآن ، ويحـافظ على الصلاة ، حيث كان يصلي دائماً في المسجد ، وأثناء الغزوات يصلي في مسجد متنقل من الخشب . ونتيجةً للحروب الضارية التي خاضها تيمور ضد أعدائه ، والفتن التي وجدها ، والمراوغة التي لاحظها من الأمراء ، والمصائب التي حلت بـه ، والنوازل التي آلت بأسرته ، ومصرع أبنائه وأحفاده في القتال أن اعتمد تيمور على سفك الدماء ، وأصبحت صفة تلازمه ، حتى يروى أنه كان يقيم من الجماجم أهراماً ، وغدا لا يروي حقده إلا رؤية الدماء ، ولا يشفي صدره إلا القتل .

وبعد موت تيمور عام ٨٠٨هـ — ١٤٠٥م اختلف الأمراء من بعده على العرش ، فتجزأت الدولة الواسعة ، واستحالت قوتها إلى ضعف ، وبدأت الولايات تنفصل عنها ، والمناطق الخاضعة لها تتمرد عليها ، بالانفصال تارةً وبالاستقلال أخرى ، ومنهـا روسيا التي تحررت من التتار عام ٨٨٥هـ — ١٤٨٠م على يد أمير

موسكو الذي بدأ يسعى لتأسيس دولة قوية له ، ومنــذ تلك الفترة بدأت هذه الدولة الجديدة تظهر في العــالم ، وتتضخم تدريجياً .

بعد أن خضعت روسيا المغول لم يبق منهـــا سوى بعض الامارات المستقلة ، وكانت موسكو أهم هـــذه الامارات ، ولكنها كانت بالوقت نفسه تؤدي الجزية للمغول ، وعندما شعر أمراؤها بالضعف الذي أصاب المغول ، انتفضوا عليهم ،وبدأوا بالتوسع نحو الشرق حيث لا يمكنهم التوسع نحو الغرب لأن القبائل الجرمانية كانت في تلك الجهـات ، وكانت ذات بأس وقوة ، ولم تستقر بعد .

وقد استطاعت الامبراطورية البيزنطية التي كان مركزها في القسطنطينية والتي لم تكن قد سقطت بعد بأيدي العثمانيين — وإن كانت محاطة ً من كل الجهات بهم ومهددة ً بالسقوط في كل لحظة — استطاعت هذه الدولة العجوز أن تثير الصقالبة (الروس)، وأن تنمي فيهم الروح الصليبية الحاقدة ، وتدعوهم لجمع الأراضي الروسية ، والانتقام من التتار الذين هم من المسلمين واخوان للعثمانيين المسلمين الذين يهددون عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الأرثوذكس ألا وهي القسطنطينية .

ولم تمض فترة طويلة حتى سقطت الدولة البيزنطية وفتحت العاصمة أبوابها للمسلمين ، وقام الصقالبة في ناحية ثانية برد فعل

ضد المسلمين التتار ، وقامت الحرب الصليبية ، وتجلت بشكل واضح في عهد ايفان الثالث عام (٨٦٧-٩١١هـ/١٤٦٢-١٥٠٥م) الذي أخرج التتار من بلاده عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ، ثم في عهد ايفان الرابع الذي سمي بالرهيب بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى ، وقد استطاع أن يضم المدن التتارية الكبرى إلى امارة موسكو الواحدة تلو الأخرى ، فقد ضم مدينة كازان عام (٩٦٠هـ-١٥٥٢م) ثم مدينة استراخان (عام ٩٦٣هـ-١٥٥٥م).

ومن هنا يظهر أن أصحاب الفكرة الواحدة والعقيدة الواحدة يرتبطون مع بعضهم ارتباطاً قوياً ، مهما بعدت ديارهم ، ونأت أقطارهم . وإن الأعداء يعرفون هـذا معرفة لا داعي للشك فيها ، فيربطون أمورهم مع بعضها بعضاً ، حيث نرى أن العثمانيين المسلمين عندما انتصروا على الدولة البيزنطية المسيحية ، قام الصقالبة المسيحيون ينتقمون من التتار المسلمين ، بل اعتبرت دولة روسيا الجديدة نفسها وريثة لتلك الدولة التي زالت ، كما نصبت نفسها حامية للأرثوذكس المسيحيين ، وقامت الحرب الصليبية واضحة . وبدأت هذه الدولة الجديدة تحارب الإسلام ، واعتبرت جميع المسلمين في أية بقعـة من الأرض مسؤولين عن تقويض الدولة البيزنطية وسقوط عاصمتها القسطنطينية . وقد طرد الروس من مدينة كازان جميع أهلها المسلمين عندما احتلوها ، وذلك ليحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس . وأثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الإسلام على أيديهم طول الطريق التي

سلكوها، وبين جميع القبائل التي جاوروها. مما زاد حقد الروس على المسلمين، فهم يريدون ترويس الناس فإذا بهم يعتنقون الاسلام، وبـذل الروس المستحيل لدمج السكان وإدخالهم في المذهب الأرثوذكسي فإذا بهم يدخلون في الإسلام بمجرد أقـل احتكاك مع المسلمين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[1]. ويعتقد الروس أن لا سبيل لهم في جعل السكان المسلمين روساً إلا إذا تركوا دينهم وتخلوا عن الإسلام، ويعتبرون أن الإسلام ليس ديناً فحسب وإنمــا هو دين وجنس بنفس الوقت، وهذا طبيعي فجنسية المسلم عقيدته، وليس له من جنسية سواها .

واستمرت هذه الحروب الصليبية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين وكانت غايتها :

١ – الاستيلاء على أرض التتار .

٢ – تحويل السكان إلى سلاف .

٣ – محاربة الإسلام وفصل النواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية بعضها عن بعض .

٤ – الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق .

---

(١) سورة الصف ٨ .

وكانت تدفعها إلى ذلك ظاهراً أنهـا كانت تريد الاستيلاء على أرض التتار بحجة إيجاد مجال طبيعي لهجرة السكان الذين يزدحمون في روسيا بينما تفتقر البـلاد التتارية إلى السكان ، وإذا كانت الدول الأوربية الأخرى قد استطاعت أن تؤسس لهـــا مستعمرات في افريقية وما وراء البحار ، ولكنهـــا هي لا تستطيع الوصول إلى مثـــل تلك المناطق بسبب انحصارها في مناطق منعزلة،فلا تشرف إلا على بحار تتجمد معظم أيام العام، فلا يمكن الاستفادة منها ، وعلى هذا فليس لها من مجال طبيعي إلا في المناطق الشرقية حيث بلاد التتار . وأما تحويل السكان إلى سلاف فإنما هو للوحدة الوطنيـة بين سكان البلاد . ويعتقد الروس أن كلمة سلاف وإن كانت جنساً إلا أنها تعني الدين أيضاً، والمذهب الأرثوذكسي بشكل خاص ، لذا يجب تحويل جميع السكان إليها ، وصبغتهم الصبغة التامة بكل ما تعني كلمـــة سلاف ، وإلا فلن تتم الوحدة الوطنية ولن يكون هناك تجانس بين السكان . وأما الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق فذلك من أجل الوصول إلى الميـاه الحرة التي تستطيع بواسطتها الاتصال بالعالم الآخر .

أما واقع الأمر فهو الحقد الصليبي الصارخ الذي يريد تخليص القسطنطينية من أيدي المسلمين وإعادتهـــا عاصمة للدولة الأرثوذكسية ، وقد مر معنا كيف اعتبر الروس دولتهم وريثة لتلك الدولة التي انقرضت ، وكذلك الانتقام من التتار الذين

يشتركون مع العثمانيين في عقيدة واحدة هي الإسلام .

أما الدول الأوربية الأخرى فقد وقفت موقف المتفرج ، وقد سرها ما يحدث ، بل تعتبره من مصلحتها لما يلي:

١ – إن اتجاه روسيا نحو الشرق يشكل فائدة لها ، فهي لا تتجه نحو الاستعمار في مناطق النفوذ الأوربي ، ولكنهم يقفون أمام الأطماع الروسية إذا حاولت الاتجاه نحو المياه الحرة ، وهذا ما يسجله التاريخ من هذه الزاوية فقط .

٢ – إن حرب روسيا للمسلمين والضغط عليهم مصلحة لبقية الدول الأوربية الأخرى التي تعادي الإسلام أيضاً ، وتراه أكثر خطراً عليها من أي فكرة أو عقيدة أو اتجاه . ولهذا نراها تسكت عن كل تصرف من هذا القبيل ، وتقف في وجه أي حركة إسلامية تقوم في المناطق التي يسيطر عليها الروس أعداؤها ، والعداء بين الروس والدول الغربية هو الذي تتحدث عنه كتب التاريخ فقط .

وقد وجد الروس أنه لا قبل لهم بمحاربة الإسلام إلا بزعزعة العقيدة تدريجياً ، والفصل بين النواحي الاخلاقية والاجتماعية والسياسية عن الإسلام ، وبمجرد هذا الفصل يصبح الإسلام مجرد

عبادات وطقوس لا معنى لهـــا حيث أن الإسلام نظام واحد وتشريع كامل لا يمكن الفصل بين جوانبه المتعددة كما لا يمكن الفصل في الانسان بين الجسد والروح ، فإذا أخذت الروح بقي الجسد مادة هامدة ميتة،وكذا الإسلام إذا نزعنا منه التشريع، وأخذنا منه النظام ، وأهملنا الغاية من العبادات فقد كل معنى ، « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »[1] . وهكذا بدأ أعداء الإسلام في الداخل والخارج بإيجاد تنظيمات وقوانين تخـــالف الإسلام في جوهره ، وادعوا أنهم لم يمسوا الإسلام بشيء وهاهي الجماهير تؤدي العبادات كاملة ، وأنهم لم يعلنوا عليها الحرب ، ولكن إذا استقر لهم الأمر ، واستتب لهم الوضع أعلنوا الحرب على الإسلام دفعة واحدة ، ومنعوا العبادات التي يتضايقون منها رغم أنها فقدت معناها منذ أن فصل بينها وبين جوانب الإسلام الثانية .

كانت هذه سياسة الدولة الروسية منذ أن ولدت حتى الآن، لم تتغير ، ولم تتبدل ، رغم التغيير الجذري الذي طرأ على الحكم بعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م إلا أن السياسة العامـة بقيت واحدة شأنهـــا في ذلك شأن جميع الدول الكبرى التي لم تتغير سياستها ، ولم تتبدل على كر الزمان ومر الأيام على عكس من

---

(١) المائدة ٤٩

سياستنا المتبعة في الشرق والتي تتغير تبعاً للمراحل التاريخية التي تمر بها ! وقد لا تزيد هذه المرحلة عن عدة أيام .

وبعد أن قويت الدولة الروسية الجديدة ، بدأت بالتوسع نحو الشرق والاغارة على البلاد الواقعة شرق جبال الأورال وذلك منـذ عام ٩٨٨هـ – ١٥٨٠ م وتمكنت من الاستيلاء على مدينة سيبير عاصمة التتار ، وسميت البلاد التي تقع شرق جبال الأورال بأكملها باسم سيبيريا تذ كاراً للاستيلاء على تلك المدينة . ولم تمض عشر سنوات حتى غزت نصف سيبيريا وضمتها إليها ، وقد نفر السكان من هذا الاستعمار الروسي ، وقاموا بثورات متتابعـــة خلال التاريخ ، كان أهمها ثورة الباشكير ١١٨٧ هـ – ١٧٧٣م ، وقد كانت تقمع هذه الثورات في كل مرة بمنتهى القسوة والوحشية وتهجير السكان وإحلال الروس محلهم .

وكان هم روسيا محاربة الدولة العثمانية للانتقام منها وإظهارها بمظهر الضعف والانحلال والاقلال من هيبتهـا العسكرية وذلك حتى تجعلها لا تتدخل في الحروب التي تشنها روسيا على المسلمين في الجهات الثانية مثل آسيا الوسطى وغيرها . وفي النصف الثاني في القرن الثامن عشر بدأ الروس بضم المنـــاطق الاسلامية لدولتهم المنطقة تلو الأخرى وابتلاعها نهائياً . ففي عام ١١٩١هـ ١٧٧٧ م ضمت منطقة القرم ، وكذا ابتلعت جورجيا ١٢١٦هـ ١٨٠١ م ، ثم بقية مناطق قفقاسيا ١٢٨١هـ – ١٨٦٤م ، بعـد

أن قضت على مقاومة الشراكسة بزعامة الشيخ شامل ، وكذا آسيا الوسطى التي كانت في فوضى تامة ، حيث غزا المنطقـــة وأخذها من خلفاء تيمورلنك قبائل الاوزبك والقوزاق والقيرغيز ، وكانت هذه القبائل وثنية ، ولكنهـــا لم تلبث أن اعتنقت الإسلام ، ثم ضعفت الحكومات التي أقامتها هذه القبائل وخاصة منطقة الاوزبك التي دفع سكانها بالقوزاق نحو الشمال ، وقامت في بلادهم عدة خانيات ، كان أهمها خيوه وبخارى وخوقند ، وقد استطاع الروس ضم هذه المنطقة إليهم ،فوصلوا إلى فرغانة ، وكانت حتى ذلك الوقت تتبـع الصين . واحتلت بخارى وسمرقند (١٢٨٥هـ – ١٨٦٨ م) ، واستولت على خيوه على حين غرة عام (١٢٩٠هـ - ١٨٧٣ م) ،وعلى خوقند (١٢٩٣هـ–١٨٧٦م)، وضمت إليها فرغانة لتشكل منها إمارة واحدة ، كما غزا الروس وادي سيحون (١٢٦٣هـ – ١٢٨٠ / ١٨٤٦ – ١٨٦٤م) واستولوا على طاشقند عام (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م)، وقد دافع التركمان عن مرو دفاعاً مستميتاً ولكنها سقطت أخيراً (١٣٠٢هـ/١٨٨٤ م)، وبقي الروس في التقدم نحو الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى بامير (١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م) . هذا التقدم السريع كان لأسباب منها :

١ً – التجزؤ والتقسيم الذي أصاب المنطقة في تلك الفترة من الزمن .

٢ً – عدم التجانس بين السكان حيث كان معظمهم قبائل بدوية اعتنقت الاسلام بفترات مختلفة ، فكان الإيمان

على درجات متفاوتة ، فلم يرسخ في نفوسهـــا بشكل جيد ، ولم تثبت مفاهيمه بشكل واضح .

٣ – حب الزعامة والسيطرة حيث نجـــد بعض الحكام كانوا يتحالفون مع الروس على بعض الحكام الآخرين خوفاً منهم ومن سطوتهم ، وأحياناً يحدث الخوف من الدول المجـاورة ، فيضطر الأمراء إلى تسليم بعض المناطق رغبة أو رهبة . وما حدث في آسيا الوسطى حدث من قبل في الأندلس، بل كثيراً ما يحدث خلال التاريخ ، فبالأمس القريب سلمت اللد والرملة من قبل بعض الملوك ، وأعطيت شرم الشيخ من قبل بعض الرؤساء هدية ثمينة لاسرائيل حيث فتحت لها خليج العقبة على مصراعيه وأصبح طريق البحر الأحمر مفتوحاً أمامها ، وصار مجال العمل في افريقيا ميسراً وبدأت الصلة مع دولة الحبشة حليفة إسرائيل الأولى وقاعدتها في افريقية ومركز منطلقهـــا ، وقام سبط يهوذا (هيلاسيلاسي)في المناورات السياسية من أجل حليفته.

٤ – عدم الاعتماد على الروح المعنوية والتمسك بقوة المادة ، فلو كان الإيمان راسخاً في النفوس لمـــا رضي السكان الذل،ولو كانت القلوب عامرة بالإيمان لرفضت الخضوع، ولو كان المسلمون متمسكين بحبل الله لما رضوا بالخنوع، ولو اعتقدوا كما اعتقد الأولون من صحابة رسول الله

ﷺ لما حل بهم ما حل. ولكن ضعف الإيمان في النفوس فضعف المسلمون أمام الأعداء ، وتركوا عقيدتهم فأذلهم الله . والمسلمون لا يقاتلون إلا بقوة الأيمان ، ولا ينتصرون إلا بالروح العالية التي يحملونها بين جوانحهم ، ولا يكسبون المعارك إلا بنصر الله الذي يتم إن نصروه « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »[١] . وسيعود إليهم الحق بإذن الله إن تغيرت نفوسهم وتبدلت طباعهم ، واختلفت سرائرهم ، فاستلهموا الصبر من عقيدتهم ، وطلبوا الفوز من بارئهم ، وأخلصوا نياتهم لله، ونفذوا أوامره ، وساروا على نهجه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[٢] .

وسيطر الروس على المنطقة بأكملها، وابتدأوا بتطبيق سياسة مرسومة تهدف إلى إبقاء المنطقة خاضعة لهم ، وإبعاد المسلمين عن دينهم حتى يتم لهم ذلك . وكان أن قاموا بعدة أمور .

أبقى الروس المجموعات الاسلامية غير موحدة سياسياً ولا إدارياً ولا دينياً ، فكان القيصر يعين مفتي روسيا الداخلية ومفتي القرم (المناطق الغربية) ولم يكن لآسيا الوسطى مفتي واحد وإنما عدد من المفتين . أما على الصعيد السياسي فكان

---

(١) الحج ٤٠ .

(٢) الرعد ١٢ .

المسلمون يشكلون جزءاً من روسيا كسائر شعوب الامبراطورية وكانوا خاضعين لأنظمتهـــا إلا في المحميات ، (امارة بخارى وخانية خيوة) ، وكان مسلمو تركستان ومركزهـا طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين أما سكان القفقاس فيخضعون لنائب الملك،وترك القبـائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل القيرغيز والقوزاق .

وظل الاستعمار الروسي عسكرياً في جوهره ، لم يهتم إلا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية ، بينما أهمل هذه المنـــاطق الإسلامية إهمالاً لا يعادله إهمال آخر ، وسعى إلى ترك السكان في حالة من الجهل والفقر والبؤس ، وأقام إلى جانب مناطقهم الخربة والتي سلب منها كل وسائل النمو والتطور وذلك بأخذ الأراضي والأملاك الجيدة التي تتبع إلى تلك المناطق الفقيرة ، وبنى بجانب بيوتات السكان البسيطة منازل راقية لأفراد جنسه الذين جلبهم من روسيا ، ولكن المسلمين رغم ضعفهم وفقرهم كانوا يشعرون دائمـــاً بتفوقهم وأفضليتهم وذلك لانتمائهم للدين الإسلامي بالذات ، ومثلاً بعـد أن نظمت العلاقة بين روسيا وبخارى اخترق الامارة خط حديدي روسي في عام(١٣٠٥ هـ ١٨٨٧م)ولكن هذا الخط لا يمر بالمدن المهمة ومنها مدينة بخارى بالذات ، وذلك حتى لا تستفيد هذه المدن ، بينما يبني الروس على الخط الحديدي منشآت لهم ، وكان هذا الخط يمر على بعـد ١٥كم من مدينة بخارى حيث بنيت بعض الأبنية الروسية وسميت

باسم بخارى الجديدة أما اليوم فتعرف باسم « كاكان » أمـــا بخارى القديمة فقد وصلت بالجديدة بخط حديدي على نفقة أمير بخارى .

وبدأت روسيا بتصنيع المناطق الإسلامية وجلب العمال من روسيا ومن مختلف الأجناس وهذا ما أفقد بعض المدن الكبرى كل صبغة إسلامية مثل باكو والما آتا وكازان وكاراغنده . وكان هؤلاء العمال يقيمون في أبنية ضخمة ، ويحيون حياة مرفهـــة حيث تقدم لهم جميـــع الوسائل اللازمة لذلك وكل الخدمات العامة . وظنت روسيا أن هذا يشجع السكان الذين يرون حياتهم البائسة أن يطالبوا بالالتحاق بروسيا والسير على نهجها ، وقامت الهجرات الكثيفة من روسيا نحو آسيا الوسطى، وكانت الحكومة تحل هؤلاء المهـــاجرين محل أبناء البلاد ، وتعطيهم أراضيهم وأملاكهم، وجل ما كانت تترك لهم إنما هو أغنامهم وحيواناتهم، وتسمح لهم بالرعي والتنقل ، وكانت الغاية من ذلك زيادة عدد الروس في المنطقة وإضعاف نسبة السكان الأصليين من المسلمين ، ويكون دور هؤلاء المهاجرين الإشراف على المنطقة وإخبـــار الحكام عن كل تصرف يحدث في المنطقة ، ومقابل هـــذا تقدم الحكومة أيضاً للمهاجرين الأيدي البيضاء فتمنحهم مزيداً من الأرض ، وتغدق عليهم الوظائف العالية والأموال الوفيرة. وقام السكان يناهضون الهجرات الكثيفـــة من الروس إلى أراضيهم وخاصة القيرغيز ، ولكن منطقتهم دخلها الروس فجأة عـــام

١٣٣٥هـ/١٩١٦م وكان نتيجة ذلك مقتل ١٥٠ ألف رجـــل والقضاء على جماعات برمتها وفرار عدد كبير من أبناء القيرغيز إلى الصين .

وكان القانون القيصري يعتبر اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الارثوذكسية في روسيا أمراً محرمـــاً ، وبذلك توقف انتشار الإسلام . وقـــد خشيت الحكومة من احتكاك المسلمين بغيرهم وقد سبق لها أن رأت ما رأت من أثر هذا الاحتكاك — وقـد بقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام(١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) ، وبعد ذلك أقامت الحكومة الجمعيات الدينية لحماية دينها ومذهبها. واستبدلت الأحرف اللاتينية في المناطق التركية بأحرف سلافية ، الأمر الذي سهل في تعليم اللغة الروسية إجبارياً حيث فرضت بالقوة بين عام (١٣٠٢ — ١٣٢٤/١٨٨٤ — ١٩٠٦م) ،وأصبحت الأسماء روسية .

قامت الحرب العالميـــة الأولى (١٣٣٣ هـ/١٩١٤م) ووقفت موسكو بجانب الحلفاء ضد ألمانيـا . وقبل نهاية الحرب قامت الثورة الشيوعية في روسيا (١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م) ،واستلمت زمام الأمر . ولكن النـــاقمين على الحكم الروسي استغلوا الظروف الراهنة ، وقاموا يريدون الاستقلال ، فقـد كفاهم ما لاقوا من العذاب ، وهنا أسرعت الثورة الشيوعية فأعطت المسلمين شيئاً من الحرية الدينية . ولنعلم مدى الاضطهاد الذي كان يلاقيه

المسلمون يكفي أن نقول أن هـذه الحرية التي أعطيت للمسلمين موقتاً قد أعادت سكان مائة قرية من جوار كازان إلى الاسلام ، وكانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة وحولت مساجدهم كنائس، وأرسلت إليهم القسوس، وكانوا لا يزالون في الباطن مسلمين ، ولكن لم يقدروا أن يظهروا الاسلام إلا بعد أن سقطت الحكومة القيصرية ، فعـــادوا إلى الاسلام ، وأعادوا مساجدهم إلى أصلها . وعندما استتب الأمر للثورة الشيوعية ، وسيطر الجيش الأحمر ، عادت إلى الاضطهاد السابق بل فاقته بمراحل لا تعد ولا تحصى، وقضت على خان خيوه عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) وعلى أمير بخارى (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) لأنهما حاولا الوقوف في وجه الوصاية الروسية . وقامت أعمال السلب والنهب تحت مصادرة المحاصيل الزراعيـــة والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الاقتصادي الجديد ، وحدث ما حدث من فظـــائع وجرائم وذبح بالملايين تحت اسم النظام الجديد للحكم .

هذه الأعمال جعلت السكان يتقبلون أي دعوة للقيـــام بالثورة ضد الحكم ، ولم تلبث أن اشتعلت بالفعل حتى عمت أكثر مناطق تركستان بفضل أنور باشا أحد زعماء حكام تركيا السابقين ، فبعد أن أعلنت الهدنة بين الحلفاء والأتراك غـــادر كبار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البلاد باتجاه ألمانيا وكان

منهم طلعت باشا [١] وأنور باشا [٢] وجمال باشا [٣] وجمال عزمي وبهاء الدين شاكر .... وكان عددهم ثمانيـــة . وفي القرم تابع سبعة منهم الطريق إلى ألمانيا حيث لم يجـدوا بينهم أنور باشا الذي سار باتجاه القفقاس ، ولم يخبر احداً على عادته في كتمان سره ، ولكنه لم يصلها واضطر للعودة إلى ألمانيا ، وبعد انتقال بين ألمانيا وروسيا عدة مرات اتفق مع الروس على معـــاداة الحلفاء، ووعدوه بتقديم المال والسلاح، وكان بينه وبين مصطفى كمال حاكم تركيا جفوة ، فقد راسل مصطفى كمال الروس ، وطلب منهم عدم مساعـدة أنور باشا ، وكان الروس يريدون البقاء على أنور تهديداً للحلفاء وخاصة انكلترا، ومراقبة لمصطفى كمال فإذا خرج من أيديهم رموه به .

---

(١) طلعت باشا : رئيس وزراء الحكومة الاتحادية في تركيا ، غادرها بعد اعلان الهدنة واغتـــاله أحد الأرمن في ألمانيا ١٩٢١م، وكذا جمال عزمي وبهاء شاكر .

(٢) وزير الحربية في حكومة الاتحاديين ، غادر تركيا بعد اعلان الهدنة ، وقاد ثورة تركستان حيث استشهد ١٩٢٢م .

(٣) جمال باشا : المعروف بالسفاح غادر تركيا بعد اعلان الهدنة ، وذهب أخيراً إلى الأفغان فنظم جيشها وسافر منها لفرنسا وفي طريق عودته اغتاله الأرمن في تفليس عاصمة الكرج ، وكانت عودتـــه عن طريق موسكو حيث قبضت عليه السلطات الروسية وخشيت من انضمامه إلى أنور ، ولكنه أنكر عمل أنور ووعد بالذهاب للأناضول وفي الطريق لقي مصرعه ، ويقال أن الروس هم من وراء اغتياله.

كان أنور باشا يحذر الروس ويحذرونه ، وقد نصح بمغادرة موسكو إلى ألمانيا أو إلى بلاد الأفغان حيث راسله ملك الأفغان أمان الله خان وقدم له أعلى الرتب في الدولة ومنحة مالية كبيرة ولكنه رفض . وعندما يئس أنور من مساعدة الروس أضمر لهم العداء ، وفتح أذنيه لأقوال المسلمين التتار عندما يشكون إليه الروس وما فعلوه بهم ، ونكثهم بوعدهم الذي قطعوه على أنفسهم بإعطاء المسلمين استقلالهم ، وعودتهم إلى السياسة الروسية القيصرية السابقة في الضغط على المسلمين .

أراد أنور أن يتخلص في مقره في موسكو الذي لا يزيد عن السجن في حريته ، فأظهر لهم أنه يريد القتال إلى جانب الأتراك الذين انهزموا أمام اليونان [1] ، فصدقوا كلامه ، وسمحوا له بمغادرة موسكو ، فخرج إلى باطوم [2] ، يترقب الأحداث ، حتى إذا انتصر الأتراك على اليونان في معركة سقاريا ، ترك باطوم في آب ١٩٢١ ، وولى وجهه شطر تركستان ، ولم يعلم الروس خبر سيره إلا بعد عدة أيام ، وقد وصل بخارى ، وعضد الحزب الأميري فيها ، وبطش بدعاة الشيوعية ومؤيديهم ، وصار الأمر كله له ، وانضم إليه سواد الأمة ، وأرسل صورته

---

(١) اليونان : كانوا بجانب الحلفاء ويشاركونهم في معاداة الروس .

(٢) باطوم : مدينة قفقاسية على ساحل البحر الأسود ، انتقلت من أيدي العثمانيين إلى الروس عدة مرات ، وهي الآن في ظل الحكم الروسي .

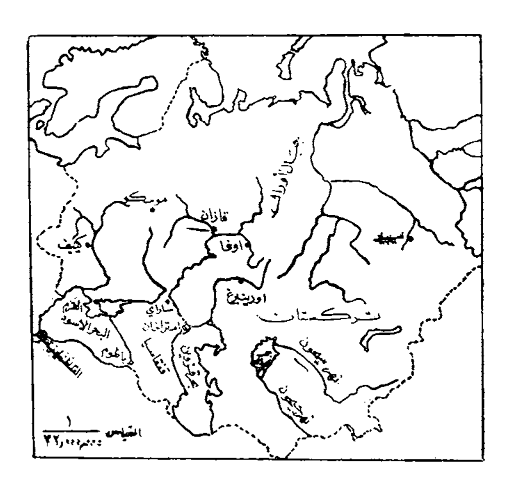
بالزي البخاري إلى أهله في برلين ، وكان يريد استقدام زوجته عن طريق الهند أو افغانستان. ثم مد دعوته إلى خيوه وفرغانة ، فعمت الثورة تركستان ، وانتصر على الشيوعيين ، حتى دعوه إلى الصلح ، ولكنه رفض أن تملى عليه شروط تضيع أي حق للمسلمين في تركستان ، فأكثروا عليه الجموع ، فاعتقد بنهايته ، وأرسل إلى زملائه في ألمانيا وصية بتعهد أسرته . وهاجمه الروس حتى تراجع ، فخاف عليه ملك الأفغان فدعاه للقدوم عليه ولكنه رفض . وكان قوام جيشه ٥ آلاف مقاتل ، وعدد المهاجمين ثمانون ألفاً . وفي اليوم الأول من عيد الاضحى هاجمته الخيالة الروس ، وأثناء القتال سقط عن جواده وخرَّ صريعاً بعد أن استسلم له طابور كامل من الأعداء ، وكان ذلك في آب ١٩٢٢ م . وقد دامت ثورته أحد عشر شهراً كاملاً . ولم يصدق المسلمون خبر استشهاده حتى أعلن ذلك الاميرالاي علي رضا بك نائب أنور باشا بتصريح في الجرائد الهندية جاء فيه « مضى زمن على شهادة الغازي أنور باشا الذي كان يجـــاهد لتحرير تركستان ، فهو اليوم ليس في افغانستان ولا في إيران ، ولا على حدود الهند ، بل انتقل إلى جوار ربه الذي جاهد لمرضاته بماله ونفسه ، وقد انتقلنا نحن بعد هذه الفاجعة إلى كابل وعسى أن نرجع قريباً إلى انقره ، فرجاؤنا من مسلمي الهند أن لا يجددوا أحزاننا بنشر الأخبار الكاذبة بل أن يسألوا الله تعالى له المغفرة والجنة » .

أما تركستان من الناحية الاسلامية فرغم تأخر المنطقة فقد كانت زاهرة بالعلم عامرة بالمكتبات زاخرة بدور العلم كثيرة المساجد . ففي سمرقند كان يوجد ١٦٥ مسجداً ، وفي بخارى ٣٦٠ مسجداً ، وكانت تركستان متمسكة بالتقاليد الاسلامية أكثر من القفقاس وغيرها ، وكانت أكثر ثقافة من الامبراطورية الروسية ، وكانت كازان تفخر بجامعتها الاسلامية ومكتباتها ومدارسها ومطبعتها التي تقدم المصاحف الشريفة ، وكان فيها عام(١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م) معلمة لكل ١٢ فتاة تتارية بينما كان في بقية الامبراطورية معلمة لكل ٥٥ فتاة،كما كانت هناك صحف باللغة التتارية .

وتأخر تأميم الأوقاف ، وتم على مراحل حتى عام(١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م) ، وسمح بالابقاء على الهيئات الدينية ، وحول ٧٠٠ مسجد في بلاد التتار و٥٠٠ مسجد في القفقاس إلى مواخير واصطبلات ونواد ، كما حولت المدارس الدينية وجامعة سمرقند إلى نادٍ للملحدين ، وألغيت أيام الجمع والأعياد الدينية ، وقضت على غاليان التتاري الذي ظن طيلة عشرة أعوام أنه واجد في نظام الحكم الجديد الوسيلة التي يرضي بها آماله القومية والثورية، وقد كمت الأفواه ، وأصبحت عقوبة القتل لكل كلمة مهما كانت صغيرة لا ترضي الحكام ، ونعتت كل حركة بالرجعية والصلة بالغرب والقضاء على المكتسبات التي حصل عليها الشعب ،وبقي الوضع حتى حصلت الحرب العالمية الثانية .

قامت الحرب العالمية الثانية عام (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م)، ووقفت روسيا أيضاً بجانب الحلفاء وضد ألمانيا ، وأبدى الروس أثناء هـذه الحرب بعض التسامح ، وخففوا الدعاية المناهضة للدين ، وسمح للطوائف الدينـية أن تبني المنشآت الدينية على حسابها الخاص ، ونجحت ألمانيا في بداية الحرب ، وسيطرت على مناطق واسعة ، واحتلت فيما احتلت جزءاً من روسيا ، وهذا ما جعل حكام روسيا يقفون من المسلمين موقفـاً حسناً ، فسمح بتعليم القرآن ، وإنشاء أربعة مراكز إسلامية جديدة ، عهد بها إلى مفتيين ، وكانت هـذه المراكز في طاشقند واوفا وباكو وبونايسك. وقد قاتل في صفوفهم أكثر من مليون مسلم، وبالمقابل فقد هرب كثير من المسلمين الذين ضاقوا ذرعاً بالحياة ، وفقدوا كل أمل في الصبر ، والتجأوا إلى الأعداء . وقد شكلت ألمانيا من هؤلاء الفارين ومن المسجونين لديها أربع فرق ضمت أكثر من مائتي ألف مقاتل حاربت بجانب ألمانيا ضد الروس وذلك ليثأروا بقسط ضئيل مما لاقوا من العذاب والاضطهاد والاهانة ، ولكن الحرب انتهت ، ووقفت كفة النصر بجانب الروس .

انتهت الحرب العالمية الثانية عام(١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م) ،وبدأ الانتقام من المسلمين ، وبدأت المجازر عام(١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م)في ٢ كانون الثاني ، وقصفت القرى الاسلامية في القفقاس ، وأبيد بعضها وذلك لمقاومتها التدابير الزراعية (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م). كذا بدا قلب الحقائق، وأظهرت الدعاية أن الشيخ شامل مظهر



من مظاهر الاقطاع وذلك لأنه قــاوم الحكم الروسي رغم الاختلاف الجذري بين الحكم السابق والحكم الحالي ، ولا تزال هذه السياسة مستمرة إلى الآن ما عدا تغيير النظرة الستالينية ، وكان من نتيجة هذا التغيير أن أعيد الشش بشكل منتظم ، وأعيد تشكيل جمهوريتهم وذلك عام (١٣٧٧هـ – ١٩٥٧ م) .

ولكن هذه القسوة في السياسة إن استطاعت أن تقضي على مظاهر الإيمان لكنها لم تستطع مطلقاً أن تمس حقيقته إلا عند

أصحاب النفوس الضعيفة التي انساقت وراء عواطفها وشهواتها وشهرتها ، وتظهر حقيقة الإيمان بين الفينة والأخرى وخاصة في هذه الفترات ، فنجد كثيراً من الشباب الآن يناقشون المدرسين لا في سبيل الوصول إلى نتيجة وإنما مجرد الازعاج ، كما صرح بعضهم بأن الإيمان قد دخل إلى نفوسهم نتيجة المحاربة والدعاية للإلحاد ، وقد طلب بعضهم الآخر مصاحف من الطلاب المسلمين الغرباء الذين يدرسون هنـاك ، ولكنهم لا يجرؤون بالاعلان عن ذلك ، وكثيراً ما أعلن الواحد منهم عند تحمسهم عن وجود قرآن كريم في بيته وهذا منتهى الجرأة والصراحة ، حيث يؤدي هذا الكلام إلى إقلال كل قيمة لهذا المتكلم إن لم يصل إلى السجن أو القبر ، ومن هذا القبيل روت صحيفة « كومسومو لسكايا برافدا » إن وفاة طالب ثانوي في الصف التاسع كشف النقاب عن وجود مدارس دينية إسلامية سرية في آسيا الوسطى . فقد توفي « دوليه اصلانوف » أخيراً بمرض في جمهورية تاجاخستان ، بعد أن رفض مساعدة الطبيب قائلا : « لا أريد مساعدة من ملحد ، فكل شيء بيد الله » ، ثم توفي وهو يشتم غير المؤمنين. ومضت الصحيفة تقول إن المسؤولين الشيوعيين صدموا أمام هذا الموقف خصوصاً أن الشاب عضو في « الكومسومول » أي رابطة الشباب الشيوعي ، ثم قالت الصحيفة : « ثم تبين أن اصلانوف العضو في الكومسومول منذ بضع سنوات ، كان يحضر الدروس في المدرسة الثانوية الحكومية ، ثم يحضر دروساً أخرى في مدرسة دينية اسلامية حيث كان يعتبر من أفضل الطلاب .

وقد توجه أحد المحققين لجلاء قضية المدرسة السرية ، فانتهى إلى مقهى لتقديم الشاي في مزرعة « جدانوف » التعاونيـــة حيث توجد أربعة صفوف من المراهقين ، يتعلمون هناك اللغة العربية والآيات القرآنية ، ولكن حين اقترب المحقق من المكان سمع صفيراً خفيفاً ، فلما دخل المحقق وجد الطلاب يشربون الشاي ، وقد اختفت من بين أيديهم الكتب الدينية وأجزاء القرآن ، وقالت الصحيفة إن أولاد المزرعة التي معظم سكانها من المسلمين، كانوا يقضون عـــدة ساعات يومياً في تعلم القرآن . وختمت الصحيفة مقالها بما يلي : « وهكذا فإن الأيدي القذرة لهؤلاء المشايخ المشردين تتولى تكوين طباع الأطفال » [1] .

---

(١) جريدة الحياة العدد ٥٦٧٦ السبت في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٦٤ .

الحياة الاقتصادية

تقع آسيا الوسطى في داخل تلك القارة الواسعة في منطقة تحيط بها الجبال فتحجزها عن رياح البحر ، وتحجب بالتالي عنها الأمطار ، كما يحدث هذا لبعدها عن المحيط، وإذا وصلت إليها الرياح البحرية فإنها تكون قد فقدت معظم حمولتها من بخار الماء .

وتقع المنطقة بين خطي عرض ٣٥ – ٥٥° شمال خط الاستواء ، وهذا ما يجعلها تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط في جزئها الجنوبي ، بينما يقع جزؤها الشمالي ضمن مناخ المناطق الأوربية الداخلية ، وتهطل الأمطار من بقايا هذين المناخين صيفاً في القسم الشمالي وشتاءً في القسم الجنوبي ، وعلى كلٍ فهي لا تزيد عن ٢٠٠ مم سنوياً ، مما يجعلها تقع ضمن المناطق الجافة والصحراوية ، وتسبب هذه الكميات من الأمطار نمو الحشائش التي يطلق عليها اسم استبس ، وفي المنطقة بعض المجاري المائية التي تتغذى من الجبال المرتفعة المحيطة بالمنطقة والتي تتلقى مزيداً

من الأمطار ، ومن ذوبان الثلوج المتراكمة على تلك الجبال ، هذه المجاري جعلت الحياة تقوم على ضفافها وعلى طول مجاريها حيث يسايرها شريط من الخضرة ، وهناك بعض الينابيع البسيطة في المنطقة التي قامت حولها المدن والقرى، فكانت واحات منتشرة في قلب تلك المنطقة الجرداء ، وهذا ما جعل سكان المنطقة منذ القديم قسمين : بدو يرعون في مناطق الاستبس، وينتقلون وراء حيواناتهم. وحضر يسكنون الواحات ويستثمرون الأراضي التي تطالها مياه الواحات والأنهار .

وتقوم زراعة الأشجار والثمار في الأودية الجبلية كما هو الحال في وادي فرغانة ، وفي الواحات ، وعلى ضفاف المجاري المائية، ويساعد على نمو الفاكهة في هذه المنطقة الحرارة في المنطقة الواقعة على درجات العرض القليلة . كما يمكن زرع المزروعات الجافة كالقطن وغيره ، ويساعد على ذلك التربة اللحقية الغنية المؤلفة من المجروفات المتجمعة في تلك الحوضة والملائمة كثيراً المزراعة .

ومع التقدم الحضاري الذي كان نتيجة التقدم العلمي دفع بالتطور الزراعي أشواطاً نحو الأمام ، فأقيمت المشاريع الاروائية ، ومدت الأقنية، مما أسهم في زيادة الانتاج وأصبح القطن وكذا الفاكهة من الموارد الرئيسية الهامة ، وخاصة أن روسيا المزدحمة بالسكان ، والتي لا تتوفر فيها الأرض الواسعة

الملائمة لهذه الأنواع من الزراعة بسبب قلة الحرارة ، جعل الاهتمام يتجه نحو هذه المنطقة من انتاج هذين النوعين من الزراعة، وغدت المنطقة ذات أهمية واسعة بهما ، ويضاف إليهما زراعة الحبوب والشوندر السكري .

وكذا فإن التقدم الحضاري دفع بالأمم لاستثمار الثروات المعدنية الدفينة في باطن الأرض ، وكانت المنطقة ذات موارد هائلة بالكروم والرصاص والنحاس والتوتياء إضافة إلى الحديد والفحم والذهب والفضة وغيرها كثير ، بل لتعتبر المنطقة أغنى مناطق امبراطورية الاتحاد السوفييتي. ونتيجة لسياسة التصنيع الروسية في المنطقة نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة كما مر معنا وخاصة في الفترة الواقعة بين (١٣١١-١٣٢٨ هـ / ١٨٩٣ - ١٩١٠م). فإن المنطقة أصبحت أيضاً ذات أهمية صناعية فائقة، وتضم هذه المنطقة في أراضيها أكثر من نصف النحاس والرصاص والتوتياء الموجود في امبراطورية الاتحاد السوفييتي ، كما تعتبر أولى مناطق العالم بإنتاج الكروم هذا إضافة إلى بقية المعادن الموجودة .

كما تربي المنطقة أكثر من ربع الماشية في الامبراطورية . وأعظم الثروات موجودة في جمهورية كازاكستان .

يبلغ عدد المسلمين في تركستان أكثر من ٣٥ مليون نسمة على أصح التقديرات ، وإن كانت الاحصاءات الروسية تعطي أرقاماً

أقل بكثير من هذا العدد ، بحيث لا يزيد عن ١٥ مليون نسمة بل الاحصاءات الروسية نفسها تعطي أرقاماً تتناقض بشكل مستمر مع مرور الزمن ، وموت القضية التركستانية ، وتناقص المعرفة المستمرة عنها ، على حين أن السكان في أية بقعة من العالم في ازدياد دائم ، وهذا التناقض يدل على نية مبيتة لإضعاف القضية أو القتل الجماعي الذي لم ينته بعد ، والتهجير الدائم أو هذه الأمور مجتمعة ، فقد كان الاتراك في امبراطورية الاتحاد السوفييتي حسب الاحصاءات الشيوعية

عام ١٩٢٠ ٣٠ مليون نسمة . ثم بقي هذا العدد
عام ١٩٣٩ ٢٥ مليون نسمة . ثم أصبح
عام ١٩٥٩ ٢٣ مليون نسمة ثم بقي بعد حكم ٤٠
عاماً أي في عام ١٩٦٣ ١٣١٠٠٠٠٠ نسمة . ويبلغ عدد المقيمين في تركستان منهم ١١٩٧٧٠٠٠ نسمة .

وإذا كان الروس قد نفوا إلى مجاهل سيبيريا أعداداً كبيرة من المسلمين للعمل هناك ، ولكن يبقى عدد السكان في تركستان أكثر من ٣٥ مليون نسمة ، وإن إنقاص هذا العدد حسب أقوال الروس لغاية في النفس هي تقليل أهمية المسلمين القاطنين في امبراطورية الاتحاد السوفييتي ، ولإبعاد التفكير في تأسيس جمهورية واحدة في تركستان ، حيث تحرص روسيا كل الحرص لتقسيم هذه المنطقة .

بعد أن استولت الكتيبتان السيبيريتان الأولى والثانية على الحكم في طاشقند بمؤازرة ٤٠٠ عامل من عمال السكك الحديدية ، وذلك في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧ ، قامت هناك حركات وطنية غايتها الانفصال عن روسيا وتأسيس دولة واحدة ، وأهم هذه الحركات حركة البصمهجي ، واضطرت روسيا على أثرها لاعادة احتلال تركستان في ١٥ آب عام ١٩١٩ م واستمرت هذه الحركة حتى عام ١٩٢٣م . وقد أمر لينين بنفسه لجنة تركستان في ٢٣ حزيران عام ١٩٢٠ م بإيجاد الطرق الكفيلة بتقسيم تركستان إلى خمس جمهوريات حتى تبقى الروس السيطرة على المنطقة بأكملها بتجزئتها إلى وحدات صغيرة . وقد بذلت مساع واسعة للمحافظة على وحدة تركستان ، ولكن باءت كلها بالفشل ، واعتبر كل من سعى لهذه الوحدة خائناً ، وأن له آراء خاصة بعيدة عن المنطق ، حتى ولو كان من أنصار الحكم الشيوعي يبعد ويكون مصيره ما يكون .

إن روسيا لا يمكنها أن تقبل أن يكون بجانبها حكومات مستقلة صغيرة كانت أم كبيرة ، فبعد أن احتلت جمهورية بخارى ، وجمهورية خوارزم ، وأصبحتا جمهوريتين تحت حماية روسيا ، وعقدت معهما اتفاقيتين ، في ١٤ آذار من عام ١٩٢١م عقدت روسيا معاهدة مع جمهورية بخارى ، ثم عقدت معاهدة مع جمهورية خوارزم في ١٣ أيلول من نفس العام ، واعترفت روسيا في هاتين المعاهدتين باستقلال الجمهوريتين السالفتي الذكر ، ولكن

لم تمض فترة قصيرة حتى بدا أن هاتين المعـــاهدتين لم تروقا للروس ، وإنمـــا يجب ضم الجمهوريتين إلى جسم الدولة الروسية وابتلاعهما ، فقد كتب القنصل العام لجمهورية روسيا السوفييتية الرفيق كوغورنوف رسالة إلى رئيس جمهورية بخارى الشعبية السيد عثمان خوجا يطلب منه وضع الوحدات العسكرية التابعة للحكومة البخـــارية تحت سيطرة الحامية الروسية ، ولم يمض يومان حتى قام بزيارة إلى الجمهورية ولكن أثنـــاء هذه الزيارة أعلن السيد علي رضا وزير الحربية في حكومة بخارى « أن موجة جديدة من الثورة قد ظهرت في جمهورية بخارى ، وقد انتشرت في جميع أرجـــاء تركستان ، وقضت على السيطرة الروسية فيها ، ثم أعلن رفض نقل السيطرة على قوات بخارى المسلحة إلى عهدة الحامية السوفييتية ، ثم أصر على ضرورة تخلي السوفييت عن الحاميات التي يسيطرون عليها ، كما أنه قدجاءت قوات عسكرية تركية بقيادة أنور باشا [1] وزير حربية تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين واحتل بعض المناطق في بخارى كمساعدة لحكومـــة بخارى التركية » .

ولم يمض وقت طويـــل حتى أضاعت بخارى وخوارزم

---

(١) سبق أن ألمحنا في هذا الكتاب كيف وصل أنور باشا إلى تركستان وعن الدور الذي قام به هناك .

استقلالها في عام ١٩٢٤م بعد قيام حملة سوفيتية واسعة، وأدمجتا بعـــد تقسيمها في جمهوريات اوزبكستان وتركمانستان وطادجكستان .

ومهما ادعى الروس وغيرهم ممن يرون رأيهم أن منطقـــة تركستان قد دخلت في ظل الحكومة الروسية طوعاً لا كراهية وسلماً لا حرباً وذلك بفضل الشيوعيين وأنصارهم ، فإنا نقول إن هذا عارٍ عن الصحة تماماً وهو مجرد دعاية يرفضها منطق الحوادث، ويكذبها التاريخ، فلم يكن هناك من حزب شيوعي في تركستان، وإنما كان أفراد لا يزيد عددهم عن ٦٤ عضواً ، وهـذا العدد لا يمكن أن يؤثر في موضوع الحكم ، ولا يمكن أن يكون له رأي يؤبه به ، وأما أن يكون أهل تركستان قد سلموا بلادهم لغيرهم ولأعدائهم حباً ورغبة فهذا ما لا يقبله إنسان ، وإنمـــا سلموا بلادهم بعد أن أجبروا على ذلك بقوة السيف ، وخلفوا على ثراها شهداء كراماً أسماؤهم تدحض الدعاية الشيوعية ومفترياتهـــا ، وأعدادهم تحذر كل شعبٍ من الوقوع في هذه الدعاية ، كما أن أهل تركستان قد قاموا بعدة ثورات ليستعيدوا مجدهم ، ولكن القوة المادية كانت أقوى من الإيمان المزعزع والجهاد الفاقد المعنى ، والمسلمين النيام عن إخوانهم ، والمتفككين بأمصارهم، والمشتتين بأفكارهم .

وقد أجبر الفلاحون على الانخراط في سلك المزارع الجماعية،

وطبقت الأفكار الشيوعية عليهم رغم أنوفهم ، ونفذت آراؤها رغبوا في ذلك أم خالفوا ، وتعلموا اللغـــة الروسية بصورة إجبارية، ومع ذلك تردد الدعاية صباحاً ومساءً أن كل ما يحصل إنما هو برأي الشعب وإرادة الشعب ورغبة الشعب ، فكيف يموت الشعب برأيه ؟ وكيف يسجن ، ويقوم بالاشغال الشاقـة وينفى إلى مجاهل سيبيريا برأيه ؟

ويعيش المسلمون اليوم وراء حدود الستار الحديدي عيشة لا نعرف عنها شيئاً ، بل لا يعرف أحد عنهم خبراً ، ولا يعرفون هم عنا شيئاً ، حيث انقطعت أخبارهم عن العـــالم الخارجي ، وقطعت أخبـــار العالم عنهم مذ أصبحوا يرزحون تحت وطأة الحكم الأحمر . وليست حياة السكان هي التي نجهلها فقط بـــل حتى الأرض التي يقطنون عليهـــا أصبحت دراستها مهملة منذ أصبحت ملحقة بالأرض الروسية رغم أن هذه المنطقة قـــد ارتبطت حقبة من التاريخ ليست قصيرة بالأرض العربية ،وكانت تسير إليها الولاة من دمشق أو بغداد ، وتدفع بأبنائها إلى أرض النور ليغرفوا من منهل العلم حتى أنجبت لنا شخصيات كريمـــة لا نزال نتغنى بأسمائها ولا تزال هي شعلة تنير لنا الدروب ، دروب العلم والدراسة ، ودروب التفقه والتبحر في العلوم ، فكانوا أئمة العلم والأدب والحديث والدين ، ولم يكونوا بعدد يسهل ذكرهم في هذا المجال .

ودراسة مثل هذا الموضوع لا شك فيها شيء كبير من الصعوبة

لا يعود فقط لبعدنا عن المنطقة وجهلنا لهـــا واعتبارها جزءاً صغيراً من أرض مترامية الأطراف ، بل كادت المكتبات تنضب عن أي شيء يتعرض لهـــذا البحث من قريب أو بعيد ، وإلى اختلاف الحدود المصطنعة التي أوجدها الضعف والتفرقـــة أو أقامها التخلف والتجزئة ، وبناها ضعف الإيمـــان ، فتقطعت الأشلاء وتفككت الأوصال ، وأصبحت المنطقة مجزأة يتبع بعضها إيران وقسم في بلاد الافغان ويخضع الجزء الأكبر للاستعمار الروسي ، والذي يشكل عقبة كبرى في دراسة المنطقـة عدم صحة المعلومات الرسمية التي تصدرها الحكومة المشرفة ، والسيف المصلت على رقاب السكان مما يمنعهم التصريح عن أي شيء مهما قلت قيمته ، إضافـــة إلى أن الأسماء قد تغيرت خلال فترات التاريخ فلا المناطق بأسمائها ولا المدن بمسمياتها وأوصافها .

فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان

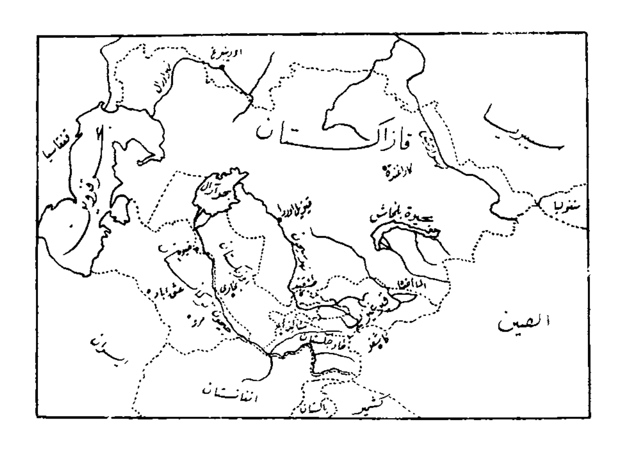
وقد حصل هذا التغيير بعد قيام الثورة الشيوعية التي حاولت تغيير معالم المنطقة بأكملها . وهي الطريقة التي تتبعها في كل المناطق التي تسيطر عليها ، حيث تعتبر تاريخ المنطقة يبدأ منذ بدء السيطرة الشيوعية ، أما قبل ذلك فيعتبرونها فترة من الحياة البدائية التي يجب ألا تؤخذ بعين الاعتبـار ، مهما كانت قيمة الحضارة التي أنتجتها ، وأصبحت المدن تأخذ أسماء جديدة هي أسماء الرجال الذين أراقوا فيها الدماء وأقاموا فيهـا المذابح . ولا يستطيع سكان البلاد أن يشاركوا في قضايا البلاد العربيـة

حيث كبلت أيديهم ، وأخرست ألسنتهم ، إضافة إلى جهلهم بكل قضية في الخارج وحتى في الداخل ، كما لا يستطيعون أن يسمعوا أصواتهم حيث حالت المدافع دون إسماعنا لها ، وإن كنا نسمع أصوات اليتامى ، كما نرى الأرامل تسبح في دماء أزواجهن .

وأعتقد أن أولئك الذين يحصرون أنفسهم في مناطق الضاد إنما يحرمون أنفسهم من مساعدة المسلمين الحارة في جميع مناطق العالم ، كما يحرمون أنفسهم وحضارتهم من جزء كبير من تراثهم الروحي والفكري ، وإن ادعاءهم أحياناً بارتباطهم بالعالم الإسلامي إن هي إلا تغطية لوضعهم خوفاً من الجماهير الإسلامية.

وليس من الغريب أن نرى الغرب عندما يريد مهاجمة الشيوعية إنما يهتم بالعاطفة الدينية لدى المسلمين مستغلاً ذلك الأمر استغلالاً، وبنفس الوقت يهاجم المسلمين وينعتهم بالتعصب، ويظهر ذلك من خلال أبحاثهم ، وأنهم متفقون مع الشيوعية على مهاجمة الاسلام ، فكلا الرأسمالية والشيوعية دعوة مادية بحتة والاسلام يعتمد على الروح قبل اعتماده المادة ، كما لم نر الغرب قد أثار قضية المسلمين في امبراطورية الاتحاد السوفييتي ولو مرة واحدة فالنظام الاسلامي أشد عداء لهم من الشيوعية بما لا يقاس.

إن $\frac{٩}{١٠}$ المسلمين الذين يعيشون في الامبراطورية الروسية



إنما هم من الأتراك ، كما أن معظم هؤلاء المسلمين إنما هم من أتباع السنة. كما يعيش حوالي ثلاثة ملايين من الشيعة أغلبهم في جمهورية طادجكستان ، كما يوجد ١٠٠ ألف اسماعيلي في هضبة البامير وهم من أتباع آغا خان ، ولهم اتصال بالهند ، وليس للشيعة أي عطف نحو العرب أو تركيا ، وإنما تجد إيران منهم كل عطف وتأثير .

وقد عمدت موسكو إلى تقسيم المسلمين ، وذلك لتجزئتهم ، كما اعتمدت الفكرة القومية ، وهم يعيشون الآن في :

١ – جمهورية كازاكستان .

٢ – جمهورية اوزبكستان .

٣ – « تركمانستان .

٤ – « طادجكستان .

٥ – « قيرغيزيا .

٦ – « تتساريا .

٧ – « الباشكير .

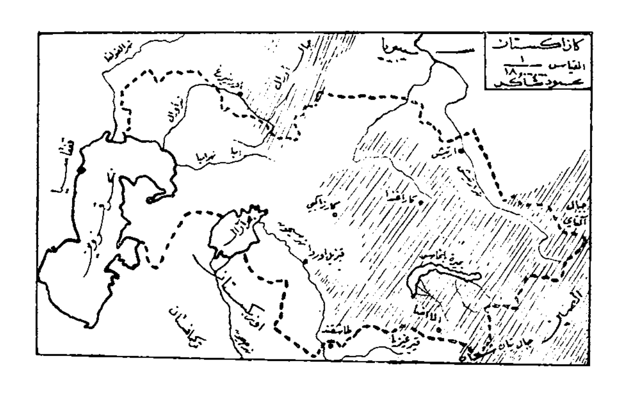
٨ – وأخيراً كان جزء منهم يعيش في القرم قبل أن يشرد كل المسلمين فيها .

٩ – هذا بالإضافة إلى المسلمين في ققفاسيا الذين مر بحثهم في القسم الأول .

كازاكستان

تعتبر جمهورية كازاكستان أكبر جمهورية في امبراطورية الاتحاد السوفييتي بعد روسيا ، فتبلغ مساحتها ١٠٠٦٤٠٩٢ ميل مربع ، ويبلغ عدد سكانها ما يقارب ١٢ مليون نسمة ، وهي تمتد من دلتا نهر الفولغا في الغرب إلى حدود الصين في الشرق ، وتقع سيبيريا وروسيا في شمالها ، أما في جنوبها فتوجد بقية جمهوريات تركستان وهي تركمانستان واوزبكستان وقيرغيزيا .

وتتألف أراضي كازاكستان من مرتفعات في الشرق ، هي السفوح الشمالية لسلسلة جبال تيان شان أقصى الجنوب الشرقي ، والسفوح الغربية لسلسلة جبال آلتاي في أقصى الشرق والتي تمتد نحو الغرب مكونة نجوداً واسعة في وسط البلاد تعرف باسم هضاب كازاكستان ، وبين هاتين السلسلتين توجد مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بلخاش ، وتنخفض هذه الأراضي بالاتجاه نحو الغرب حتى تصل إلى مناطق صحراوية في الجنوب



أما في الشمال فتوجد بحيرات عديدة أكبرهـــا بحر آرال الذي يصب فيه نهرا سيحون وجيحون،وبعد بحر آرال تعود الأراضي للارتفاع تدريجياً حيث تكون نهاية جبال اورال فتتكون بعض الهضاب ، ثم يعود الانخفاض باتجاه بحر قزوين ، وقبل أن نصل إلى البحر المذكور نكون قد وصلنا إلى منطقة تنخفض عن سطح البحر . ويوجد في أقصى الشمال الشرقي سهول خصبة يجري فيها نهر ايرتيش اكبر روافد نهر ينيسي .

وتجري المياه من المرتفعات الجنوبية الشرقيـــة فتتجه نحو بحيرة بلخاش ، أو نحو بحر آرال على شكل روافد لنهر سيحون، وبعضها لا تستطيع مياهها القليلة أن تتابع مجراها لتصل إلى

نهر سيحون أو بحر آرال ، فتفيض مياهها في رمال الصحراء .

أما المياه التي تنحدر من المرتفعات الوسطى والشرقية، فإما أن تنحدر إلى الشمال لتشكل أنهاراً بعضها صغير والآخر كبير مثل نهر ارتيش لترفد كلهـــا نهر أوب ، وإما أن تنحدر نحو الجنوب لتصب في بحـيرة بلخاش أو في البحيرات الصغيرة التي تقع شرق بحيرة بلخاش .

وهناك أنهار تنحدر من جبال أورال تتجه كلهـــا نحو بحر قزوين أهمها نهر اورال ونهر امبا .

وأهم أنهار كازاكستان نهر سيحون الذي ينبع من جمهورية قيرغيزيا ثم يمر بجمهورية اوزبكستان ثم يدخل كازاكستان ويجري فيها مسافة طويلة وسط مناطق صحراوية فيؤلف شريطاً من الواحات فتكثر المدن على طول مجراه، ويستقر البشر وتقوم الحياة الحضارية وأخيراً يصب في بحر آرال في جزئه الشمالي ، وتقوم مشاريع الري على هذا النهر .

وهنـــاك نهر ارتيش الذي ينبع من بلاد الصين بالقرب من حدود منغوليا ويدخل كازاكستان مشكلاً وادياً منخفضاً بين المرتفعات الشاهقة وتتشكل بعض البحيرات في ذلك المجرى ثم يدخل منطقة سهلية وأخيراً يدخل سيبيريا وتأتيه روافد كثيرة أغلبها ينبع من هضاب كازاكستان وأخيراً يرفد نهر أوب الذي

يصب في المحيط المتجمد الشمالي .

وهناك نهر اورال الذي ينبع من جبال اورال التي يأخذ اسمها ويكون في مجراه الأعلى ضمن الأراضي الروسية متجهاً نحو الغرب وتقع عليه مدينة اورينبرغ ، ثم يدخل كازاكستان ويتجه نحو الجنوب ليصب في بحر قزوين .

تعتبر كازاكستان منطقة غنية في ثروتها الزراعية والحيوانية والمعدنية . ففي المناطق المرتفعة تكثر زراعة الفاكهة في الأودية حتى لتسمى المناطق التي جنوب بحيرة بلخاش بلاد التفاح (آلما آضا) . كما تكثر زراعة الحبوب في المناطق المنخفضة ، ومع المشاريع الاروائية كثرت زراعة القطن ، وأصبحت من المناطق التي تدر أرباحاً للاتحاد السوفييتي من خلال هذه الزراعة .

وتقدم كازاكستان للاتحاد السوفييتي ثروة حيوانية ضخمة ففيها ١٥٪ من مجموع الامبراطورية و٢٠٪ من أغنامها ، ويكثر الرعي في المناطق الجافة في فصل الشتاء ، أما في الصيف فتحترق أعشاب المناطق المنخفضة بأشعة الشمس المحرقة ويسود فيها الجفاف ، فينتقل الرعاة إلى الجبال ، وهذا الانتجاع يتم في كل عام .

وتصطاد الأسماك من بحيرة بلخاش وبحر آرال وبحر قزوين.

وتفوق الثروة المعدنية كل ثروة أخرى ، فتعتبر مخزن المعادن

لكل امبراطورية الاتحاد السوفييتي فتعتبر كازاكستان الأولى في العالم بإنتاج الكروم كما أنها تقدم :

٥٧٫٤ ٪ من النحاس في الاتحاد السوفييتي .

و ٥٦٫٣ ٪ من الرصاص » »

و ٤٩٫٨ ٪ من التوتياء » »

كما يوجد فيها ثروات كبيرة من الفحم والبترول والفضة ، وأغلب هذه الثروات توجد في الهضاب الوسطى وأهم مناطق النحاس من بلخاش وكارزاكي ،وأهم مناطق الفحم من كاراغنده، ويوجد البترول حول نهر امبا .

وقد وصلت أكثر منـــاطق الثروة بخطوط حديدية كانت غايتها الأولى امكانية نقل الجنود الروس المحافظة على المنطقة ، ثم استثمار الخيرات ، وإمكانية توطين الروس وإشرافهـــم على المنطقة باسم الاشراف على السكك الحديدية والمشاريع .

وهذا الغنى الظاهر في جمهورية كازاكستان جعلها نموذجـــاً لسياسة روسيا تجاه المجموعـــة الاسلامية في تركستان ، حيث يؤكد الروس تبعية كازاكستان السياسية إلى روسيا ، ولا يتم ذلك إلا بتحويل السكان إلى حب الروس ومقاومة كراهيتهم .

وما إن استلم الشيوعيون الحكم حتى قامت حركة قومية كازاكية المعروفة باسم ألاش اوردا والتي قام بها الحزب القومي

القوزاقي ، وكادت هذه الحركة تلقي الروس خارج الحدود ، وتقيم حكومة قازاقية حرة. وقد تظاهر الروس في بداية الأمر بتأييدهم لهذه الحركة - كشأنهم في كل الحركات القومية - ثم لم يلبثوا أن كشفوا القناع عن وجوههم وحاربوها بكل صرامة وعنف .

لم يكن هناك شيوعيون في البلاد قبل الاستعمار الروسي ، والروس هم الذين أدخلوا الشيوعية إلى المنطقة وكانوا يستلمون قيادة الحزب ، ومع ذلك فقد كانت نسبة الشيوعيين قليلة لا تزيد عن ١ - ٣ ٪ من القازاق .

وكانت الحكومة الروسية تحكم كازاكستان قبل عام ١٩٢٥ من مدينة اورينبرغ التي تقع اليوم خارج حدود المصر . ثم انتقل مركز الحكم في عام ١٩٢٥ إلى مدينة قيزيل اوردا KzyI Orda الواقعة على نهر سيحون أي العاصمة الحمراء وكانت تسمى أكمشيت Akhmchet أي المسجد الأبيض وبهذا تظهر المفارقات ، كما أنهم فصلوا اورينبرغ عن مصر كازاكستان وضموها إلى روسيا وصار اسمها الجديد شكالوف ، كما أن العاصمة قزيل اوردا لم يستمر فيها الحكم أكثر من عامين ، حيث نقل ثانية إلى ألما أضا التي كانت تسمى أيضاً ڤرني . ومن هذا يظهر كثرة التغيير في أسماء المدن والمناطق لنسيان التاريخ وعلى ما يربط بالماضي .

إن أول مشكلة واجهت الشيوعيين في حكم كازاكستان

هي قلة الشيوعيين وكثرة الذين ينتمون إلى الحركة المعارضة للشيوعيين ، لذلك عمدت الحكومة إلى إيجاد منظمة الفقراء عام ١٩٢٦ م ، ولكن لم يلبث أن دخل إلى هذه المنظمة المعارضة ، وقـــد لاحظ المسؤولون هذا الأمر ، فطردوا ألفين عضو من المنظمة ، كما نفوا سبعمائة آخرين إلى أماكن نائية بعد أن صادروا ماشيتهم .

حاول الروس أن يكون شيوعيو القازاق هم زعماء المناطق، فلم يلبثوا أن قرروا أن توزيع الأرض يجب أن تكون الأفضلية فيه لسكان المنطقة وهم القازاق ، وبهذا لم تمض فترة وجيزة حتى أصبح الروس والاوكرانيون يتركون أراضيهم الخصبة ، وهذا ما أثار حقـد الروس حيث وقفوا بجانب بني جنسهم ، فألغوا هذه القوانين ، واعتبروا أن جميع القوميات متساوية في حق الاستفادة من الأرض القازاقية ،وبهذا عاد الروس والاوكرانيون إلى السيطرة على المناطق التي تخلوا عنها، وعاد الاستعمار الروسي إلى المنطقة . وعلى هذا لم تكن القضية قضية قوميات كما دعا قرار تقسيم تركستان ، ولم تكن القضية شيوعية كما ادعى الشيوعيون القازاق ، وإنما القضية استعمار روسي لهذه المنطقة فيجب أن يستفيد الروس قبل كل شيء وهم الرؤساء والمشرفون على المزارع الجماعية .

وأجبر الناس على الدخول في المزارع الجماعية ،ولكن زعماء

البلاد خافوا من قضية الترويس للسكان ، وهذا ما دعاهم إلى أن ينبهوا السكان إلى ذلك ، فقام حاكم المنطقة بإعدام زعيم وطني وثماني عشرة من أعوانه . وقد ذبح بعض الرعاة حيواناتهم وفروا من البلاد والتجأوا إلى القسم الثاني من تركستان [١] ، وهي التي تقع تحت السيطرة الصينية وذلك عام ١٩٣٢م ، وكذلك كان الأمر كلما حزب ، واشتدت القسوة . ولكنه سمح للرعاة الذين يدخلون المزارع الجماعية أن يمتلكوا بعض الحيوانات .

وقد توتر الموقف بين الروس والوطنيين فيما بين عام (١٩٣٢ـ ١٩٣٦) ، وينعت الروس الوطنيين بأنهم يعملون بوحي من الامبريالية اليابانية والنازية الألمانية .

وكان حكام المنطقة من الغرباء عنها فقد حكمها حاكم روسي فيما بين عام (١٩١٧ ـ ١٩٣٢ م) ، وحاكم أرمني فيما بين عام (١٩٣٢ ـ١٩٣٨ م) .

وكذلك فإن غنى كازاكستان بالثروة المعدنية قد جعل الروس يستقدمون الخبراء للعمل في المناجم ، وهم لا شك من أعضاء الحزب الشيوعي المعتمدين ، وهذه المدن تنمو وتتسع ،

---

(١) تركستان : بلاد واسعة في آسيا الوسطى وهي اليوم قسمان : قسم غربي ويعرف بتركستان الروسية وهذا الذي يخضع للاستعمار الروسي وقسم شرقي ويعرف باسم تركستان الصينية وهو يخضع للنفوذ الصيني .

ولكن هذه الزيادة كانت من الأجانب الروس الذين أصبحوا يملكون زمام الأمر في المدن. كما أن قسماً من الرعاة قد أصبحوا عمالاً في المعامل ولكن بنسبة ضئيلة . ففي عام ١٩٣٠م كان عدد العمال من الوطنيين لا يزيد عن الثلث بينما وصل إلى النصف في عام ١٩٤٠م. وهذا كله يدل على أن النظام الشيوعي قد تابع السياسة القيصرية بالذات وسار على خطها ، ونهج منهجها ، ففي عام ١٩٣٨ كان عدد طلاب جامعة آلما أضا خمس وستون وثمانمائة طالب بينهم ثلاثة ومائتان طالب من القازاق فقط ، والباقي من الروس أي أن مستقبل البلاد ليس بيد أبنائها .

ويحاول الروس أن يقنعوا القوزاق بأن الروس هم الإخوان الكبار لهم ، وأنهم هم الذين أبعدوا كازاكستان من أن تخضع لاستعمار الدول الإجنبية وذلك بانضمامهم إلى روسيا ، وأن أمل القوزاق منذ القرن السادس عشر هو الانضمام إلى روسيا ، وأن الروس هم الذين أخذوا بأيديهم نحو التقدم والتصنيع . هذه الأفكار الرئيسية التي يدور عليها البحث والمنهج .

وتقول الاحصاءات الروسية أن عدد القازاق قد هبط ، ولكنها لا تعلل أسباب هذا النقص .

وعاصمة جمهورية كازاكستان هي مدينة ألما أضا أي بلد التفاح وتقع في أقصى الجنوب الشرقي قريباً من حدود جمهورية قيرغيزيا في منطقة مرتفعة ، عند رأس وادي تتجمع فيه مياه

تلك المرتفعات ليرفد نهر أوي الذي يصب في بحـــيرة بلخاش مشكلا دلتا واسعة . ومنطقة ألما أضا ذات فاكهــــة كثيرة وخاصة التفاح . وقد انتقل إليها مركز حكم المنطقـــة منذ عام ١٩٢٧ . وتمر منها سكة حديدية تصلها مع بقيـــة أجزاء كازاكستان ومع بقية جمهوريات تركستان كما تتصل بواسطتهـا مع روسيا وسيبيريا .

ومن المدن المهمة الأخرى **كاراغندة** في وسط كازاكستان العليا وتشتهر منطقتها بغناها بمناجم الفحم لذلك وصلت بخط حديدي لنقل منتجاتها كما تتصل بخط حديدي خاص بمدينـة كارزاكي حيث منـاجم النحاس ، وكذلك بمدينة بلخاش على بحيرة بلخاش الغنية أيضاً بفلزات النحاس .

ومدينة **قزيل اوردا** ومعناها المدينة الحمراء وكانت تسمى اكمشيت أي المسجد الأبيض وبقيت مركزاً لحكم كازاكستان مدة عامين ١٩٢٥ – ١٩٢٧ م وتقع على مجرى نهر سيحون الأدنى وتقوم زراعـة القطن في ضواحيها وتتصل مع مدن الوادي بسكة حديديـــة حيث تصلها مع طاشقند وبقية أجزاء تركستان الجنوبية ، أما من الشمال فتصلهـــا مع روسيا وبحر قزوين .

وهناك مدن أخرى ذات أهمية كبيرة ولكننا يمكننا هنا أن نضيف مدينة **اورينبرغ** التي تقـع على نهر أورال الأعلى

وقد كانت عاصمة كازاكستان قبل عام ١٩٢٥ ثم فصلت عنها وألحقت بروسيا وبذلك فصلت كازاكستان عن بلاد الباشكير ، وكلا الجمهوريتين (كازاكستان وباشكيريا إسلاميتان)، وبذلك انفصلت بلاد المسلمين عن بعضها بجزء أصبح يخضع مباشرة لروسيا . والقصد من ذلك معروف . كما يدل اسمها وتعرف اليوم باسم شكالوف .

اوزبكستان

أقيمت هذه الجمهورية على أنقاض جمهوريات أزالها الاستعمار، وأقسام من إمارات شتتهـا الاستبداد ، وأجزاء من دول قضى عليها الطغيان ، ومناطق مختلفة حكمها الظلم .

شملت اوزبكستان جمهورية كارا كالباكيا [١] وجزءاً من إمارة بخارى [٢] وقسماً من خانيـة خوارزم [٣] ، ومناطق أخرى . وبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة .

---

(١) كارا كالباكيا : كانت تتبع كازاكستان حتى عام ١٩٣٠ ، ثم ضمت إلى الادارة المباشرة للاتحاد السوفييتي أى إلى جمهورية روسيا الاتحادية ، وبقيت تتبعها مدة ٦ سنوات ، ثم ضمت إلى اوزبكستان عام ١٩٣٦.

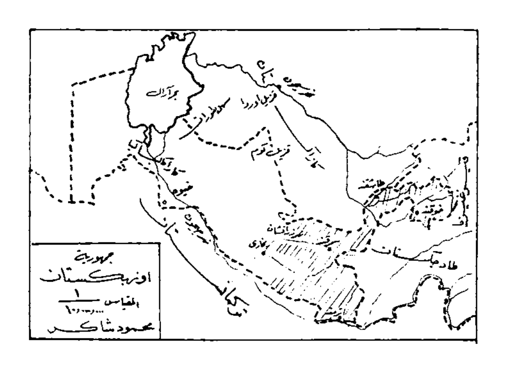
(٢) امارة بخارى : قسمت إمارة بخارى عام ١٩٢٤ بين جمهوريات طادجكستان واوزبكستان وتركانستان .

(٣) خانية خيوه : هجم الروس على جمهورية خوارزم (خيوه) ١٩٢٤ وخلعوا أميرها خان خيوه السيد عبدالله خان بهادور ، ووزعت أراضي الإمارة بين جمهوريتي اوزبكستان وتركانستان .

والاوزبك أكبر مجموعة في الاتحاد السوفييتي بعد المجموعة الصقلبية حيث يزيد عددهـــا عن ستة ملايين نسمة . وصلت الاوزبك المنطقة في القرن الرابع عشر ميلادي ، وكانت وثنية، ولكنها لم تلبث أن اعتنقت الإسلام ، واستطـاعت أن تؤسس لها دولة في سمرقند ، بسبب ضعف الامارات التتارية التي قامت في المنطقة عقب نهاية تيمورلنك ، ثم استطاعت فتح مدينـــة بخارى عام (٩٠٥هـ / ١٥٠٠م) ولكنها احتفظت بمدينة سمرقند عاصمة لها .

حاول الاوزبك استعادة مجدهم بعيد قيام الثورة الشيوعية وسقوط الامبراطورية الروسية، وقد تحقق هذا الحلمفترة وجيزة حيث قامت دولة تركستان المستقلة في خوقند ، ولكنها لم تلبث أن سقطت عام ١٩١٨م ، ثم قامت حركة البصمه‌جي ، وقبـل ذلك قامت حركة الجهاد في سمرقند عام ١٩٠٤م .

تشترك جمهورية اوزبكستان في حدودهـا مع الجمهوريات التركستانية الأربعة الأخرى كما تشترك مع افغانستان . هــذا الموقع وهذا العدد من السكان جعل دولاً قوية تقوم في هــذه المنطقة ، وقد فاقت هذه الدول مثيلاتهـــا في المناطق الأخرى وأهمها دولة خوقند التي سقطت عام ١٨٧٥ م وإمارة بخارى وخانية خيوة اللتان استمرتا حتى بعد قيام الثورة الشيوعية ،كما انطلقت منها أعظم الثورات .



هذه القوة وهذه المقـاومة جعلت الروس يخططون حدود هذه الجمهورية بشكل غريب يظهر من المصور حيث يبلغ طولها ٩٠٠ ميل بينما عرضها ٢٠ ميلاً .

تبلغ مساحة أوزبكستان ١٥٧,٠٠٠ ميل مربع ، وقـد كانت سمرقند هي عاصمة هذه الجمهورية، ولما لم يستطع الشيوعيون تغيير مظهر المدينة الاسلامي ، وحمل رجالها على الشيوعية ، نقلت العاصمـة إلى طاشقند عام ١٩٣٠ ، وذلك لأن طاشقند يسكنها عدد من الروس ترتفع نسبتهم إلى نصف سكان المدينة ، بينما لا تكاد نسبتهم تذكر في مدينة سمرقند .

تتألف اوزبكستان من منطقة جبليـة في الجنوب الشرقي

وتميل تدريجياً نحو الشمال الغربي حتى تصل إلى صحراء قزيل قرم ثم إلى سهل طوران الذي تتقاسمه مع كازاكستان ، ثم منطقة كاراكالباكيا التي تقع جنوب وغرب بحر أرال ، هذا بالإضافة إلى المنطقة الشرقية التي تعتبر أهم منطقة في الجمهورية من حيث السكان والثروة الزراعية والصناعية حتى أن أعظم المدن توجد فيها ، وهي تتغلغل بين أراضي قيرغيزيا كما تدخل بين جمهوريتي طادجكستان وكازاكستان ، وهي عبارة عن وادي يجري فيه نهر سيحون وتحف به المرتفعات .

المياه :

تشمل المنطقة الشرقية وادي سيحون الأعلى الذي ينبع من مرتفعات فرغانة وأواسط قيرغيزيا ، وتأتيه الروافد من نفس مرتفعات فرغانة ، فيمر بشمال مدينة خوقند، ثم يدخل جمهورية طادجكستان ثم يعود مرة أخرى إلى اوزبكستان وتأتيه الروافد من مدن انغرن وطاشقند ، وبعدها يدخل جمهورية كازاكستان .

أما نهر جيحون فيشكل الحدود بين اوزبكستان وافغانستان مسافة ١٥٠كم ، ويدخل بعدها جمهورية تركمانستان ، وبعد أن يسير فيها ما يقارب ٦٠٠كم يعود ليشكل الحدود بين اوزبكستان وتركمانستان ، ثم يجري في اوزبكستان وسط سهل منبسط يمر في شرق مدينة خيوة ثم يصب في بحر آرال مشكلا دلتاواسعة ،

ويجري نهر جيحون في منطقة صحراوية فيشكل واحـــة على طول مجراه .

وهناك نهر زرافشان الذي ينبع من جمهورية طادجكستان ويدخل اوزبكستان قبل مدينة سمرقند فيمر فيها ، ويتجه نحو الغرب ، ثم نحو الجنوب الغربي حتى يصل مدينة بخارى حيث يأتيه رافد من الجنوب وعندما يصل إلى بخارى يكون سيلا يجري عقب الأمطار ، وبعدها يتجه نحو الغرب ليصب في نهر جيحون ولكن لا يصله إلا في بعض الأعوام التي تكثر فيهـــا الأمطار .

كانت منطقة اوزبكستان شهيرة بزراعتها وماشيتها.فتكثر الفاكهة في الأودية والمناطق الشرقية بشكل عام ، وكذلك على ضفاف نهر جيحون ، كذلك تعرف زراعة الحبوب في سهـل طوران ، وسفوح الجبال وأكثر المناطق المروية ، ولكن بدأت زراعة القطن تأخذ طريقها في الانتشار ، فارتفعت نسبة هـذه الزراعة وانخفضت زراعة الحبوب وذلك حسب توجيه السياسة الروسية رغم أن هذه السياسة قد وجدت معارضة شديدة من قبل السكان ، وأخيراً أصبحت زراعة القطن تقرن مع ذكر منطقة اوزبكستان .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية دخل المنطقة أكثر من مليوني لاجىء إثر الغزو الألماني للاتحاد السوفياتي،فتوسعت اوزبكستان

في زراعة الحبوب والشوندر السكري لتؤمن حاجة هؤلاء اللاجئين ولتعوض عما خسرته امبراطورية الاتحاد السوفييتي من هذه المزروعات التي كانت تنتجها اوكرانيا التي غزاها الألمان واحتلوا أرضها .

وكذلك توسعت منطقة اوزبكستان في الصناعة ، ودخلها عدد كبير من الصناع الروس حتى ارتفعت نسبتهم ارتفاعاً كبيراً حتى وصلت إلى ١٧ ٪ بينما نجد أن الاوزبك يؤلفون ٥٩ ٪ ، وقد كان برلمان اوزبكستان عام ١٩٤٧ م يضم :

٢٤٩ نائب اوزبكي
٨٣ « روسي
٣٢ « تركماني
٣٦ « تاجيك وقازاق ومن كاراكالباكيا

وكان أكثر العمال الروس يقيمون في المدن الكبرى حتى تأخذ الصبغة الروسية ، ومقابل ذلك يذهب عمال من الاوزبك ليعملوا في الصناعة في روسيا وخاصة في منطقة الأورال ، ليتخلصوا منهم في منطقتهم ، وليجبروهم على الطاعة . وطريقة تطعيم المناطق بعناصر من غير سكانها معروفة على نطاق واسع في كل جزء من امبراطورية الاتحاد السوفييتي . ومن المدن الصناعية الهامة طاشقند وانغرن ولينسيك وقد أصبحت هذه

المدن ذات طابع غربي تماماً ، وهناك بعض المدن التي لا تزال تحافظ على الطابع الشرقي مثل انديخان Andighan ومدينة نامانغن Namangn .

وتتصل أكثر المدن التي تقع في المنطقة الشرقية مع بعضها بخطوط حديدية كما تتصل أمهات المدن الأخرى .

وتضم اوزبكستان أكثر المدن المعروفة في التاريخ وأهمها :

طاشقند : وهي عاصمة الجمهورية ويزيد سكانها عن مليون نسمة وتعد سابع مدينة في الامبراطورية ، وقد أصبحت العاصمة بعد نقلها من سمرقند عام ١٩٣٠ وذلك لأن الروس يكثرون فيها حتى أصبحت ذات طابع غربي تماماً ، وقد كان مجلس مدينة طاشقند يتألف عام ١٩٥٠م من :

٥١,٣٪ اوزبك .
٣٧,٢٪ روس .
١١,٥٪ جنسيات أخرى .

وتقع طاشقند على نهر يرفد نهر سيحون كما أنها قريبة من حدود كازاكستان ، ولم تستقر أرضها تماماً فلا تزال الزلازل

تنتابها بين فترة وأخرى .

سمرقند : ذات طابع شرقي وصفة إسلامية مما حرمها أن تستمر عاصمة اوزبكستان فقد نقلت إلى طاشقند ١٩٣٠ ، حيث وقف رجالها دون الانصهار في بوتقة الشيوعية ،كما لم يتأثروا بالروس الذين لم يطب لهم المقام فيها لأنهم بقوا كالغرباء . وسمرقند ذات طابع ماض تاريخي حافل ومركز بلاد الصغد ، كما كانت عاصمة تيمورلنك . وتقع على نهر سيحون .

خيوة : وهي خوارزم تقع في منطقة سهلية غربي نهر جيحون ، وقد قامت فيها دولة قوية مثل دولة خوارزم . كما قامت فيها حديثاً إمارة استمرت حتى بعد الثورة الشيوعية وأخيراً قضي عليها عام ١٩٢٤ .

بخارى : وكفاها فخراً أنها منبت الإمام البخاري ، وقد خربت عام (٦١٦هـ / ١٢٢٠م) على يد جنكيز خان ،ثم فتحها الآوزبك (٩٠٥هـ/١٥٠٠م) ولكنهم أبقوا سمرقند عاصمة لهم .

وتوثقت العلاقة بين دولة الاوزبك وبين قياصرة موسكو ، وبهذا عرفت بخارى في روسيا ، وكان الروس يطلقون اسم

بخارى على كل التجار والمهاجرين من آسيا الوسطى مدة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كما كانوا يسمون تركستان الصينية اسم بخارى الصغيرة . وحكمت بخارى أسرة أوزبكية تسمى بني منفيت واستمر حكمها حتى عام ١٩٢٠ حيث هاجم الروس المدينة واضطر آخر أمرائها إلى الهجرة إلى افغانستان حيث توفي ١٩٤٤ . وتقع بخارى على نهر زرافشان عند التقائه برافده المنحدر من الجنوب فهي واحة تحيط بها الصحارى .

تركمانستان

تبلغ مساحة تركمانستان ١٧١,٢٥٠ ميل مربع ، وتقدر بمساحة فرنسا ، ولكن سكانها لا يزيدون عن مليون ونصف المليون ، وذلك لأن أكثر أراضيها صحراوية ، حيث تشمل صحراء قره قرم تسعة أعشار الجمهورية ، والقسم الباقي هو الذي يقع في جنوب المنطقة وتهطل عليه بعض الأمطار المتوسطة في فصل الشتاء ، وذلك لارتفاعه . ورغم أن المنطقة تقع على ساحل بحر قزوين إلا أن ذلك لا يؤثر على مناخها إلا قليلاً من الرطوبة التي لا تتعدى الساحل ،وذلك لأن البحر مغلق وصغير ، ولانخفاضه عن سطح البحر ، وترتفع غربه الجبال بينما تنخفض أراضي بلاد التركمان في شرقه .

والمنطقة الجنوبية المرتفعة هي السفوح الشمالية لمرتفعات إيران وافغانستان وهي المنطقة الآهلة بالسكان ،إضافة إلى الواحة التي يؤلفها نهر جيحون عند مروره من البلاد

استولى الروس على القسم الأكبر من البلاد إثر الحروب التركمانية

١٨٧٩ - ١٨٨٠ ولكن جنوب شرق البلاد لم يخضع للروس حتى عام ١٨٨٤ بما في ذلك مرو التي دافع عنها التركمان دفاعاً مستميتاً.

فكرت روسيا أنه لقهر التركمان لا بـــد من قهر الصحراء وتنفيذ مشروعات اروائية ضخمة تستطيع بموجبهـا نقل عدد كبير من الروس إلى المنطقة وتوطينهم فيهـا وبالتالي يسيطرون على البلاد.

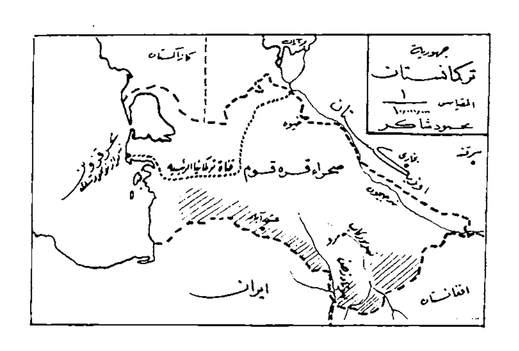
فبعد أن استقر الروس في بـلاد التركمان فكروا في حفر قناة تركمانيا ونشروا أول دراسة عنها عام ١٨٩٣ وهو المشروع المعروف بقناة جلوخوفسكي، ويصل المجرى الأدنى لنهر جيحون ببحر قزوين.

وفي عام ١٩٤٧ فكر الروس بحفر قنـاة قره قرم العظيمة وهي تجري من المجرى الأوسط لنهر جيحون إلى أنهار موركاب[١] وتادزهن[٢]، ويكون طول القناة ١٠٤ أميال، وتوجه مياهها

---

(١) نهر موركاب: ينبع من جبال افغانستان الشمالية وينحـدر نحو بلاد التركمان ويمر بمدينة مرو التي أقيمت على يمينه، ثم يفيض في رمال صحراء قره قوم.

(٢) نهر تادزهن: نهر ينبع من جنوب ضالع نهر موركاب ومن مناطق أكثر ارتفاعاً ويتجه نحو الغرب وتقع عليه مدينة هراة المدينة المشهورة في افغانستان، ثم يشكل الحدود بين إيران وافغانستان، ثم بين إيران وتركانستان ويأتيه رافد عظيم من إيران أقيمت عليه مدينة مشهد الفارسية المعروفة، وأخيراً يدخل في بلاد التركمان وتفيض ميـــاهه في الصحراء كسابقه.



لري مساحات واسعة في جنوب بلاد التركمان .

وفي عام ١٩٥٠ قررت إنشاء قناة تركمانيا الرئيسية بطول ٦٠٠ ميل في بلاد التركمان الشمالية لتصل نهر جيحون الأدنى ببحر قزوين عند ميناء كراز نوفودسك كما يمكن الاستفادة من الطاقة الكهربائية الناجمة عن انحدار القناة .

ولا يزيد عدد التركمان كثيراً عن المليون ونصف المليون ، ولا يقيم منهم في بلادهم أكثر من ٩٠٠ ألف تركماني ، بينما يعيش الباقون مشردين في أنحاء متفرقة ، فمن الذي يا ترى يعمر البلاد بعد تنفيذ هذه المشاريع التي تحتاج إلى أيد عاملة كثيرة لاستثمارها ؟ ومن الذي يجني ثمار هذه المشاريع ؟ لا شك أن الروس والاوكرانيين هم الذين يستعمرون البلاد ومن أجل ذلك

قامت المشاريع . والواقع أن الأفواج الكبيرة من المهاجرين الجدد بدأت تتدفق على البلاد وتتركز بشكل خاص في ميناء كراز نوفودسك ويظهر هذا من النسبة التالية : كان السكان في تركمانستان عام ١٩٢٦ كما يلي :

٧٨ ٪ تركمان
٠٦ ٪ روس
١٦ ٪ تتار وقازاق وفرس وأرمن .

ورغم أن نسبة التركمان كبيرة ، إلا أن التركمان لم يحصلوا على مركزهم في القيادة فقد كان أعضاء مجلس جمهورية تركمانستان يوزعون حسب الجنسيات في عام ١٩٣٨ كما يلي :

٥٥ ٪ تركمان
٣٠ ٪ روس
٠٩ ٪ اوكرانيون وروس صغار ويهود
٠٦ ٪ أقليات آسيوية .

ومن هذا الجدول يدل على أن الروس هم الذين يحصلون على مقاعد أكثر من نسبتهم وهم الذين يتبوؤن مركز الصدارة ، ويحتلون خمسة أمثال نسبتهم العددية .

وبعد تسعة أعوام اختلفت هذه النسبة فارتفع عدد مقاعد التركمان لقبول بعضهم التعاون مع حكامهم جرياً وراء مصالحهم وانخفضت نسبة الروس ولكن بالوقت نفسه ارتفعت نسبة

الاوكرانيين وكان التوزيع في عام ١٩٤٧ كما يلي :

٦٦ ٪	تركمان
٢٢ ٪	روس
١٢ ٪	اوكرانيون
١٠٠	

وأهم مدن تركمانستان **عشق اباد** وتقع جنوب البلاد ، قريبة من الحدود الإيرانية ، وتقع على الخط الحديدي الذي يصل ميناء كراز نوفودسك بمدينة مرو ومنها إلى بخارى .

ومدينة **مرو** وتقع أيضاً في الجنوب في شرق الأولى وتتصل معها بالسكة الحديدية ، وهي ذات موقع ممتاز عند انفتاح الصحراء ، ويرويها نهر موركاب وقد دافع عنها سكانها دفاع الأبطال عند سقوطها بيد الروس .

وأيام الحكم العربي الإسلامي كانت مركز خراسان ومقر واليها . ويعرف أهلها بالبخل وتنسب إليهم نوادر البخل .

كراز نوفودسك : الميناء المهم في الجمهورية، وتقع على ساحل بحر قزوين ويكثر فيها الروس والاوكرانيون النادمون لاستثمار خيرات البلاد واستعمارها . وهذه المدينة بداية الخط الحديدي الذي يجتاز البلاد ، ونهاية قناة تركمانيا الرئيسية التي تصل نهر جيحون في مجراه الأدنى في جمهورية اوزبكستان مع بحر قزوين.

قيرغيزيا

منطقة جبلية بمعظمها ، تبلغ مساحتها ٧٥،٩٥٠ ميل مربع (١٩٨،٥ ألف كيلومتر مربع) أي أكبر من مساحة الجمهورية العربية السورية بقليل، ويزيد عدد سكانها عن ٢،٥٦٩،٠٠٠ نسمة .

تتألف من سلسلتين جبليتين شمالية وجنوبية وبينهما منطقة من الهضاب تتجمع فيها المياه فتشكل في الشمال الشرقي بحيرات واسعة وعديدة ، بينما يجري في القسم الغربي نهر نارين وهو المجرى الأعلى لنهر سيحون . وهو ينبع من شرق البلاد ويستمر في جريانه حتى الغرب حيث يدخل جمهورية اوزبكستان ، وتأتيه الروافد من جانبيه .

وتقترب السلسلتان من بعضهما في الغرب مكونة مرتفعات فرغانة .

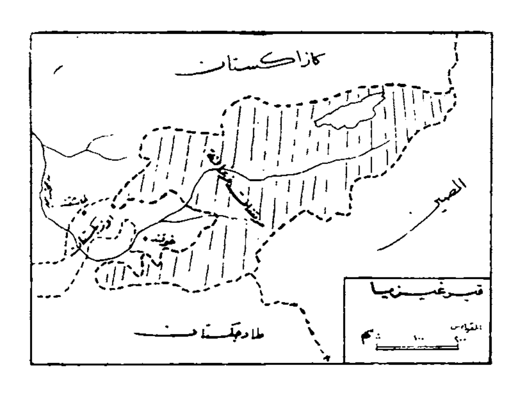
بدأ الاستعمار الروسي في قيرغيزيا عام ١٨٦٦ حيث أسس عشرين قرية روسية معظمها في المنطقة الشمالية المتاخمة لحدود كازاكستان ، ثم بدأ الروس يفدون بشكل واسع ، فأقيمت

أكثر من ستين قرية في الفترة الواقعة (١٩٠٧ ـ ١٩١٥) كان أكثر من خمسين منها في وادي فرغانة ، أي أن الاستعمار بدأ يتقدم نحو الجنوب .

وقد تناقص عدد القيرغيز إبان الاستعمار الروسي نتيجة الثورات والهرب من البلاد والموت جوعاً وحرب الإبادة . ففي عام ١٩١٦ قامت ثورة قتل اثرها ١٥٠ ألف قيرغيزي ، ومات جوعاً من القيرغيز أثناء هربهم إلى الصين إبان طغيان الحكم الشيوعي والسيطرة الروسية من قبل ، كما أن جميع سكان القسم الشمالي قد أبيدوا ، وكان هذا النقص في السكان أكثر من الثلث .

واستمر تناقص السكان بعد الحكم الشيوعي بينما بدأ يزداد عدد الروس الوافدين إلى المنطقة ، حتى وصل عدد القيرغيز إلى أقل من نصف سكان الجمهورية في عام ١٩٢٦ ، ويسيطر الروس على كل نواحي الحياة في البلاد . وتسمى عاصمة الجمهورية باسم فرونزي نسبة إلى القائد الروسي ميخائيل فرونزي . وقد رغب السوفييت في توطين البدو ، حتى لا تستمر الحركات الثورية والانتجاع وحتى تسهل مراقبة السكان ، وكان نتيجة ذلك أن قسماً من أصحاب الماشية قد ذبحوا أغنامهم ورفضوا تسليمها إلى المسؤولين . ونلاحظ من تعداد الأغنام في البلاد :

١٩٢٩	٦,٠٠٠,٠٠٠ رأس غنم .
١٩٣٧	٢,٠٠٠,٠٠٠ رأس .



وكان يطرد من الحزب الأعضاء من القيرغيز ولو كانوا في أعلى المراتب ومن أكثر الأنصار والمتظاهرين بالتأييد للشيوعية ، بحجة أنهم لا يتوافقون مع النظم الجديدة . فقد طرد رئيس الوزراء يوسوب عبد الرحمانوف لأنه طالب بعدم تصدير الخبز قبل شبع القيرغيز فاتهم بالخيانة ، كذلك اختفى عام ١٩٣٧ م في حركة التطهير رزفيلوف الذي نال شهرة في كل الاتحاد السوفييتي مدة ثلاثين عاماً ، وكان عام ١٩٢٢ مندوب نائب ستالين في منصب زعيم القوميات ، ثم شغل بعد ذلك منصب نائب رئيس وزراء جمهورية روسيا الاتحادية . ومن قبل قضي على عبدالكريم صديقوف حيث اتهم بإفساد المزارع الجماعية والكفاح المسلح ضد النظام السوفييتي .



طريق في قيرغيزيا

ويشجع الروس العداء بين القيرغيز وسكان الصين ، وقد وضعت ملحمة تسمى ألماناس وتدور فصولها على قتال دائم بين القيرغيز والصينيين ، وتعطي عبارات التمجيد على الأبطال الذين ظهروا خلال قتالهم لأهل الصين . وقد أصبحت هذه الملحمة أكثر الكتب شعبية نتيجة التشجيع الدائم من المسؤولين الروس ، وهذا بسبب الروس من القيرغيز لبعدهم الطويل عن موسكو مركز الحكم الروسي ، ولصعوبة أرضهم التي يصعب السيطرة عليها وخاصة أن سكانها أغلبهم من الرعاة ، يضاف إلى ذلك هرب عدد ليس بالقليل أثناء سيطرة الروس في بدء الاستعمار ،



أسرة قيرغيزية

ثم أثناء نجاح الثورة الشيوعية وإعادة المناطق التي ثارت عليها. وعندما حكم الشيوعيون الصين تغير نظر الروس إلى ملحمة ألماناس وبدأوا يحاربونها.

كما تغيرت دراسة التاريخ والأدب والثقافة القيرغيزية، وبدأ الهجوم عليها، واتهم الشعراء والأدباء وكتاب القصة بأنهم يفضلون الثقافة القيرغيزية على الروسية وهذا منتهى التفرقة والافساد.

وتجود الزراعة في قيرغيزيا فهناك القطن والشوندر السكري والحبوب إضافة إلى الفاكهة التي تكثر في الأودية وخاصة فرغانة. كذلك اكتشفت مكامن الذهب والقصدير وجرى تنظيم مكثفات الرصاص والتوتياء، وتعمل مقالع للفحم الحجري واستثمارات بترولية، كما تعتبر قيرغيزيا من أكبر منتجي الزئبق والانتيموان.

ولا تصل الخطوط الحديدية إلى قيرغيزيا إلا مسافة ضئيلة تصل إلى فرونزي العاصمة في الشمال، وما عداها فطرق سيارات، وذلك بسبب طبيعة البلاد الجبلية.

طادجكستان

أصغر جمهورية في آسيا الوسطى حيث تبلغ مساحتها ٥٥,٥٤٥ ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ١,٥٦٠,٥٤٠ نسمة ، ومركزها مدينة ستالين آباد ، ويختلف سكانها عن بقية السكان في تركستان فهم من أصل إيراني بينما سكان تركستان من أصل تركي. كذلك يتبع سكان كافة تركستان مذهب أهل السنة بينما أكثر سكان طادجكستان يتبعون المذهب الشيعي ، كما يوجد فيها ما يقارب من ١٠٠ ألف اسماعيلي يعيشون في هضبة بامير ويتبعون آغا خان .

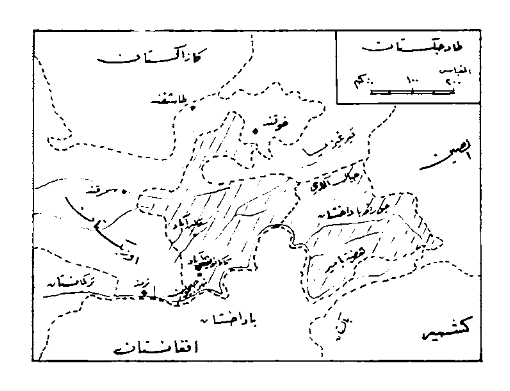
أكثر من نصف مساحة طادجكستان تشغله هضبة بامير أعلى هضبة في العالم حتى لتعرف باسم سقف العالم وتحتل الجزء الجنوبي والشرقي من البلاد ، ومنها تتوزع السلاسل الجبلية الشاهقة . أما القسم الشمالي فتشغله سلسلة جبال آلاي ، ويعتبر الجزء الجنوبي الغربي هو المنخفض نسبياً ، كما تدخل أراضيها في اوزبكستان لتحتل جزءاً من وادي نهر سيحون غربي مدينة خوقند . ومن

هضبة بامير وجبال آلاي تنحدر مياه كثيرة تتجه كلها نحو نهر جيحون الذي يشكل الحدود الجنوبية مع افغانستان ويدور معها.

أنشئت هذه الجمهورية في ١٥ آذار ١٩٢٥ لأغراض سياسية بالدرجة الأولى ، ففي شرق هضبة بامير تسكن قبائل رعاة من القيرغيز وقد ضم إلى هذه الجمهورية لزيادة مساحتها ، بينما تسكن غرب البامير قبائل من أصل فارسي ، وكانت هذه المنطقة تتبع مديرية باداخشان في بلاد الافغان التي تسكنها نفس القبائل ، ويشكل القسمان غرب وشرق بامير مديرية مستقلة إدارياً تعرف باسم مديرية جورنو باداخشان .

وتختلف معاملة السوفييت للتاجيك عن معاملتهم لبقية شعوب تركستان ، فقد اهتموا بإحياء التراث التاجيكي القديم والثقافة القومية والاقتصاد وكانت سياستهم على أساس قومي وليست على أساس طبقي وذلك تبعاً للغاية التي من أجلها أنشئت هذه الجمهورية .

فقد كان الافغان يستطيعون أن يحركوا سكان آسيا الوسطى ويثيروهم ضد حكامهم الروس ، حيث توجد أعداد كبيرة تقيم في بلاد الافغان من الاوزبك والتركمان والقيرغيز والتاجيك سكان آسيا الوسطى . وإيجاد هذه الجمهورية سلاح للاتحاد السوفييتي يدافع به عن نفسه ، فهو ليس بمستعمر وإنما جمهورية مستقلة ، كما أنها دعوة للتاجيك المقيمين في افغانستان للانضمام



إليها وإثارتهم اذا اقتضى الأمر رغم أنهم أكثر عدداً من سكان الجمهورية هذه بكاملها . وقد كانت أراضيهم واحدة تلبع ولاية بخارى ، وقد استطاعت قبائل الافغان أن تنتزع بقيادة أحمد خان أراضي التاجيك الواقعة الى الجنوب والجنوب الغربي لنهر جيحون وهي تشمل بلخ .

ثم قسمت أرض التاجيك مرة أخرى عام ١٨٩٥م حيث اتفقت كل من بريطانيا وروسيا على تخطيط الحدود وضمت الى افغانستان المناطق التي يسكنها التاجيك على الجانب الأيسر لنهر بانزا .

وكذلك الأمر بالنسبة لإيران فيدعي السوفييت أن التاجيك

م الذين يجب أن يقودوا ايران ، فليست الثقافـة الإيرانية إلا تاجيكية ، فالفردوسي تاجيكي وكذا الشاهنامة أم كتاب أدب كتب بالفارسية ، وكذا الافتخار بالتاريخ التاجيكي منهم الذين وقفوا في وجه الاسكندر الكبير المقدوني ، وهم الذين وقفوا في وجـــه المغول أيام جنكيزخان ، وهم الذين أقاموا الدولة السامانية و....

وتجتاز السكة الحديدية الوادي الشمالي من وإلى اوزبكستان، كذلك تسير سكة حديدية في الجنوب الغربي حيث تـأتي من مدينة ترمذ الى العاصمة ستالين آباد ومنها تصل الى مدينـــة كاكانوفيش آباد .

المسلمون في روسيا

لما كانت لا توجد مناطق يغلب عليها المسلمون في أوربا إذا استثنينا ألبانيا وبعض مناطق يوغوسلافيا وروسيا،لا نستطيع دراسة شعوب إسلامية مرتبطة بالبيئة الجغرافية ، لقلة المسلمين هناك وعدم تجمعهم في مناطق محدودة لهذا رأينا أن نضيف إلى بحث تركستان أهم نقاط تجمع المسلمين في روسيا بشكل موجز ليتعرف القارىء عليها .

انتشر الإسلام في روسيا أثناء امتداد التتار وسيطرتهم على تلك المناطق ، والتتار شعب من الأتراك ، بل منهم تتفرع أكثر بطون وأفخاذ الأتراك ، وترادف كلمة تتار للترك عند أهـــل الغرب ، بل يعتبرون قبائل الأتراك كافة تتراً ،ومنهم العثمانيون والتركمان و.... والتتار والمغول توأمان كعبس وذبيان عنــد العرب ، وقد حصل نزاع بينهما وطغى بعضهم على بعض وأخيراً سيطر التتار ثم عادت السيطرة للمغول بعد فترة طويلة واستمروا في حكمهم للتتار حتى بعد جنكيزخان ، حتى استرد تيمورلنك السيطرة للتتار .

بعد موت جنكيزخان خلفه ابنه اوجداي فاستطاع أن يستولي على روسيا التي أصبحت ولاية مغولية وبموته رحل المغول عن أوربا ، وبعد هزيمتهم في عين جالوت في فلسطين على أيدي المماليك حكام مصر عام (١٢٦٠م/٦٥٨هـ) انقسمت الامبراطورية المغولية إلى أجزاء يحكم كلا منها خان مستقل ، كذلك انقسمت في الدين ، فالمغول الذين يعيشون في شرق آسيا اعتنقوا البوذية ، كما اعتنق الإسلام المغول الذين يقيمون في أواسط آسيا وغربها .

وكان المغول يسيطرون على سيبيريا وأواسط آسيا حتى نهر الفولغا ، كذلك حكموا بلاد القرم وأقاموا عليها حاكماً منهم ، وفرضوا الجزية على الروس وكانوا يدفعونها عن يد وهم صاغرون ، وقد أعدوا من مدينتي سراي واستراخان على نهر الفولغا مركزين قويين لمراقبة الروس .

وقد انتشر الإسلام بمجيء التتار الذين ورثوا المغول وكانوا قد اعتنقوا الإسلام ، وتجمع أكثر المسلمين على نهر الفولغا وفي شبه جزيرة القرم ، وتأسست دول إسلامية في هذه المناطق ، وتشكل اليوم جمهوريات منها باشكيريا ، وتتاريا والقرم وتتبع كلها إلى جمهورية روسيا الاتحادية . والامبراطورية الروسية تقسم إلى ست عشرة جمهورية وتسمى جمهوريات اتحادية أو اشتراكية ، وهذه الجمهوريات هي المناطق التي يراد تجزئتها لإضعافها أو لأسباب أخرى سياسية وتقع كلها على الأطراف ،

وتؤلف مناطق صغيرة ما عدا جمهورية كازاكستان ، وهـذه الجمهوريات هي :

١ً – جمهورية كاريليا الفنلندية[1] وعاصمتها بترو زافودسك

٢ً – » استونيا » تالين .

٣ً – » لاتفيا » ريغا .

٤ً – » ليتوانيا » فنليس .

وهذه كلها تقع على بحر البلطيق .

٥ً – جمهورية مولدافيا ، وعاصمتها كيشينيف وكانت تسمى البغدان وتقع على ساحل البحر الأسود الغربي .

٦ً – جمهورية اوكرانيا ، وعاصمتها كييف وهي منطقة روسية .

٧ً – » روسيا البيضاء » منسك » » »

٨ً – » اذربيجان » مدينة باكو .

٩ً – » أرمينيا » » اريفان .

١٠ً – » جورجيا » » تفليس .

وهي جمهويات منطقة القفقاس .

---

(١) ألحقت اليوم بجمهورية روسيا الاتحادية وبقي عـدد الجمهوريات في الامبراطورية الروسية ١٥ جمهورية .

١١ً – جمهورية كازاكستان وعاصمتها مدينة ألما أضا .
١٢ً – « اوزبكستان « « طاشقند .
١٣ً – « تركمانستان « عشق أباد .
١٤ً – « قيرغيزيا « فرونزي .
١٥ً – « طادجكستان « ستالين أباد .

وهذه جمهوريات منطقة تركستان .

١٦ً – جمهوريةروسيا الاتحادية ومركزهامدينة موسكو وتشمل كل المناطق الباقيةفي الاتحاد السوفييتي في آسيا وأوربا وتمتد من البحر الأسود حتى المحيط الهادي ومن أواسط آسيا حتى البحر المتجمد الشمالي .

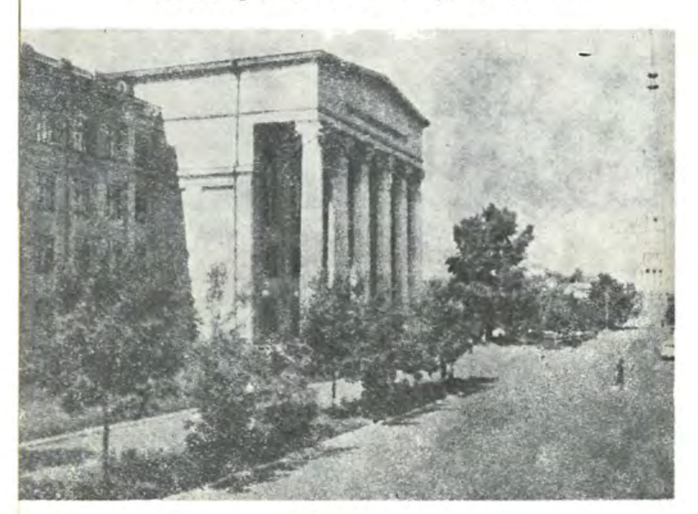
والجمهوريات الاشتراكية قد تضم عدة جمهوريات صغرى ضمن كيانها ولها استقلالها الذاتي وتسمى جمهوريات سوفيتية أو أقاليم مستقلة كا قسمت داخلياً إلى وحدات أصغر ، فجمهورية جورجيا مثلاً رغم صغرها تضم أربع جمهوريات ، وجمهورية روسيا الاتحادية تضم اثنتي عشرة جمهورية من ضمنها جمهوريات الباشكير وتتاريا والقرم أي التي يكثر فيها المسلمون .

وهذه المناطق الإسلامية كانت تتمم المناطق الإسلامية في تركستان وبالتالي مع العالم الإسلامي ، ثم فصل جزء منها وألحق بجمهورية روسيا الاتحادية وذلك لتجزئة المسلمين وإبعادهم عن

بعضهم ، وفصلهم بمنطقة تخضع مبـــاشرة لسيطرة الروس ومراقبتهم ، وقد ذكرنا كيف أن كازاكستان كان مركزهـــا مدينة اورينبرغ قبل عام ١٩٢٥ ، ثم فصلت هذه المدينة مع المنطقة التي حولها وتقع في حوض نهر اورال ، وألحقت بروسيا واستبدل اسم اورينبرغ باسم شكالوف لإزالة أي أثر لمعـــالم المنطقة وتاريخها. ونقل مركز كازاكستان إلى مدينة قزيل أوردا ومعناها المدينة الحمراء وهي مدينة أكمشيت ومعناها المسجد الأبيض وأخيراً نقلت إلى مدينة ألما أضا .

جمهورية باشكيريا

وهي صغيرة نسبية وتقع في السفوح الغربية لجبال اورال ، وتكثر فيهـا الينابيع والمجاري المائية التي تتجمع في نهر بيلافا



جامعة مدينة أرفا



مكتبة في مدينة أوفا

الذي يرفد نهر كاما الذي ينتهي بدوره إلى نهر الفولغا .

وهي غنية بثروتها المعدنية كما أنها غنية بثروتها البترولية التي اكتشفت بالقرب من حدود جمهورية تتــارية في الجنوب الغربي . ويضاف لهذا الغنى غنى بالثروة الزراعية حيث التربة الخصبة والمجاري المائية الكثيرة .



دار مجلس الوزراء

ويعيش في هذه الجمهورية أكثر من مليونين ونصف المليون من السكان . عاصمتها مدينة أوفا التي تقع عند ملتقى عدة أنهار ، وقد خضعت للاستعمار الروسي منذ عدة قرون ، وقام سكانها بعدة ثورات خلال التاريخ كان أهمها ثورة ١٧٧٣م وكانت تخضع هذه الثورات بمنتهى الوحشية والقسوة وقد كانت مدينة أوفا حتى القرن الحالي مركزاً إسلامياً كبيراً .وتعتبر معلوماتنـــا



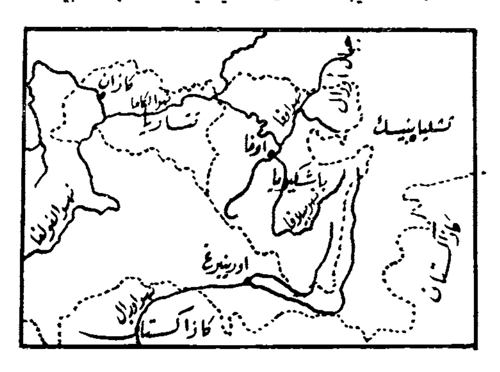
منظر المجاري المائية تنساب في جمهورية باشكيريا

ضحلة عن هذا الشعب ومقـــدار رسوخ الفكرة الشيوعية في نفوس أبنائه ، ويحاول الروس تغيير مظهر المدينة الاسلامي بالتماثيل والمراكز الشيوعية .

جمهورية تتاريا

وتشترك مع جمهورية باشكيريا في حدودها الشرقية ، وإن كانت أصغر منها مساحة ، وهي غنية بثروتها الزراعية حيث تكثر فيها المجاري المائية ، فنهر بيلافا القادم من باشكيريا يلتقي مع نهر كاما المنحدر من الشمال والروافد الأخرى ويطلق على المجموع اسم نهر كاما ، ويسير نحو الغرب ليلتقي بنهر الفولغا القادم من الشمال الغربي جنوب مدينة كازان .

وقد خضعت المنطقة للروس منذ القرن السادس عشر الميلادي ، وكانت عاصمتها مدينة كازان مركزاً إسلامياً ، فرغم الضغط والاكراه كان فيها أثناء الثورة الشيوعية ١٢ مسجداً كبيراً .



شبه جزيرة القرم

تقع في جنوب الامبراطورية الروسية ، وتتقدم داخل البحر الأسود ، وهي غنية بثروتها الحديدية ، كما أنها غنية بزراعة الفاكهة حيث يؤمن لها مناخها الدافىء جواً ملائماً لهذا النوع من الزراعة وهذا ما لا يتوفر إلا في مناطق محدودة من الامبراطورية الروسية .

وقد احتل الروس هذه المنطقة عام ١٧٧٧م ، وبدأ الاضطهاد فيها بشكل واسع حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م ، فاستقلت القرم مع من استقل من المناطق تخلصاً من الاستعمار الروسي ، وأسست دولة إسلامية ، ولما اشتد عدد الجيش الأحمر ، نكث الروس بوعدهم بإعطاء الاستقلال لهذه الشعوب المستعمرة ، وقضى الجيش الأحمر على دولة القرم ، وبدأ التعسف والظلم بعودة الروس وسيطرة الشيوعيين ، فكثر القتل والإعدام والسحل والنفي إلى مجاهل سيبيريا حتى فقدت القرم أكثر سكانها وضاق الباقي ذرعاً بالحياة .

وأثناء الحرب العالمية الثانية غزا الألمان المنطقة ودانت لهم أجزاء واسعة من روسيا حتى اقتربوا من موسكو ، وأثناء المعارك التي احتدمت بين الألمان والروس ، استسلم للألمان على أبواب القرم الفيلق القرمي وكان تعداده ثمانية عشر ألفاً انتقاماً من

الروس وتخلصاً منهم ، وظناً بأن الألمان أفضل من الروس ، ولم يدر في خلدهم أنالكفر واحد وأن عداء جميع أنواع الكفر إنما هو موجه للإسلام بالدرجة الأولى ، ولكن الألمان بمجرد أن عرفوا أن المستسلمين من المسلمين انتزعوا منهم السلاح واستاقوهم حفاةً مسافة ١٥٠كم سيراً على الأقدام دون طعام ، وقد سقط بعضهم على الطريق ، ثم سجنوا في جامعة أشبه بقلعة من قلاع العصور الوسطى ، ومنع عنهم الطعام ، فبدأوا يتساقطون جوعاً ، ثم خف عدد الموتى فعرفت الضابطة الألمانية أن بعضهم يأكل لحم بعض اخوتهم الموتى ، فاقتادتهم خارج السجن ورمتهم بالرصاص جميعاً تخلصاً منهم لم ينج منهم إلا ثلاثة بأعجوبة . أوصل بعضهم هذه الكارثة إلينا .

وهذه معاملة الجميع للمسلمين ونظرتهم إليهم .

وهمّ روسيا الأول هو تعميم اللغة الروسية في جميع أجزاء الامبراطورية ، وتعتبر اللغة الروسية شرطاً اجبارياً للدخول في الدراسات العليا في مؤسسات التعليم العالي التركستاني . وفي عام ١٩٥٦ جعلت اللغة الروسية هي الرسمية الثانية في تركستان ، وفي عام ١٩٥٩ م صدر مرسوم يقضي بأن الأطفال يمكنهم أن يدرسوا باللغة الروسية مباشرة .

والهم الثاني للروس هو الاشاعة بين التركستانيين أن الروس إخوان كبار لهم ، وأن الروس قد نفعوا تركستان بضمها

إليهم ، حيث منعوها من الدخول تحت الاستعمار ، وأن أهـل تركستان لم يقاوموا دخول الجيوش الروسية إليها .

هذه معلومات عامة عن تركستان موجزة ومختصرة ، ولا ندري ماذا يجري فيها في الأيام المقبلة ؟ والله سبحانه وتعـــالى أعلم فهـــو وحده المهيمن المقدر والحافظ والولي ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الفهرس

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت. ص.ب ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٣٠٤٣

٧٠/٣٣٠٠/١٩٥٧